حتى لا يلهينا الأمل

بقلم
حنيف مسلم

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك».

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مقدمة

أهم أن أكتب لأدل نفسي، والناس، إلى شيء أرى فيه خيراً وصلاحاً، فتقول نفسي: مالك وللناس؟ أتريد أن تتعب في غير مائمرة؟ أتطلب من الإنسان أن يحيى بخيره ويترك شره؟ ولن يشفع لك مافي قلبك من حب لهم، يدفعك إلى النظر في أحوالهم وعاداتهم، فيجعلك تبذل مافي وسعك لاختيار أحسن الطرق التي تسلك إلى نصحهم، وإنك بكتابتك هذه لست معلماً أو مرشداً، وإنما إنسان سائر مع قافلة، جل أناسها في شغل شاغل، فأراد أن يراقب ببصره، حتى إذا ماضاع منها ثمين أو عزيز، سعى برده إليها. فإذا ما أطلعتهم على نيتك هذه، فهل ينظرون إلى ماتنبههم إليه نظرة اهتمام؟ أم أن الهزء والسخرية ستنصب عليك، وستستهدف للغمز واللمز؟ وإن تسترك بإخفاء اسمك، أو باسم مستعار لدليل على توقعك لهذا الأمر، ولو ادعيت أن إخفاءه بقصد ألا تكون كتابتك للشهرة أو غيرها، وإنما لغرض واحد: هو انتفاع الناس بها إن وفقت

وجال في الخاطر: أن مانحدث به النفس من تثبيط، سوف لايصدني - إن شاء الله تعالى - عما اعتزمته، وها أنا أبدأ فأقول:

أيها الإنسان العاقل! أرجو أن يتسع صدرك إذا مافاجأتك بسؤال غريب:

أتريد ألا تحيى في مجتمع سليم فاضل، تحكمه المثل العليا، ولايسمح فيه للشهوات المسعورة والمطامع الجشعة أن تبيض وتفرخ فيه؟

لو أنه أجري استفتاء عام في الدنيا كلها فلا أظن أن إنساناً عاقلاً، يجيب على هذا السؤال بغير «لا». ولكن - ويا للأسف - يقولونها قولة جوفاء، خالية من كل عمل. وهاهو الواقع يشهد أنه لو كان ربع الناس، أو عشرهم، عملوا بها، لانتفى من العالم الظلم، ولساده العدل، ولنعم بالطمأنينة. ومعنى ذلك: أن الإنسان يريد أن يقيم مجتمعاً صالحاً سعيداً بغير عمل، ويقول مايقول نفاقاً، ويعمل - في الوقت نفسه - بعكس ماادعاه.

فيا أيها الإنسان العاقل الذي يشعر شعوراً صادقاً بوجوب بناء المجتمع الفاضل: إنه ليجدر بك أن تجيب على هذا السؤال بـ «لا» قولاً وعملاً مدى الحياة، مفسحاً لها من قلبك مكاناً لتظل باقية مابقيت نفسك، مكافحاً من أجلها، جاعلاً «لا» هذه تسير بمقتضاها.

فإذا هممت بأمر منكر، تمثلت أمامك «لا» التي تريد بها إصلاح المجتمع، فترتدع، وإذا مالت نفسك للظلم تذكر «لا» التي أخذت العهد على نفسك بها ألا تفعل شيئاً يقوض بناء المجتمع الفاضل المنشود الذي تريده لك ولأبنائك وأحفادك والأجيال التي ستأتي من بعدك؛ فإن كنت عالماً لم تجعل العلم وسيلة للتضليل وأخذ أموال الناس بالباطل! وإن كنت تاجراً لم

تغش وتجشع وتمنع حق أصحاب الحقوق منك! وإن كنت طبيباً لم تشخص مالا تعرفه من الأمراض، وتتمكن من علاجه! وإن كنت معلماً، لم تعلم بقصد أن تعد أياماً، وتقبض راتباً، وتهمل مهمتك العظمى الملقاة على عاتقك، ألا وهي إنشاء جيل تكون منه نواة صالحة لهذا المجتمع النظيف الفاضل! وإن كنت مسؤولاً لم تظلم، أو تحاب أو ترتش، أو تنس تفقد مواطنيك ومشورتهم! وإن كنت محامياً لم ترافع في قضية تعرف أنها باطلة! وإن كنت عاملاً لم تدخر وسعاً في إتقان عملك وإحسانه! . . الخ.

أما إذا كان كل إنسان منساقاً مع شهواته ومطامعه، سواء بقليل أو كثير، فما قيمة ادعائه وتظاهره بإقامة هذا المجتمع السليم المنادى به؟ أو كأنما حينما يطالب بهذا المجتمع الكريم، يهدف من وراء ذلك تضاؤل عدد لصوص المجتمع، حتى يصفو له الجو، ويقوم بأعمال أوسع وأشنع مما كان يعمله من قبل.

فالتاجر الغاش، لايودّ أن يكثر في محيطه الغاشون، لاعن طيب نية، ولكن لأن كثرتهم تضايقه في غشه للناس وتحرمه الكثير وكذلك بقية اللصوص.

إن لكل أمر من الأمور طريقاً ومنهاجاً، وليس إلى تحقيق هذا المجتمع الفاضل من سبيل غير الإسلام الذي جاء من خالق الإنسان، وفيه المنهاج القويم لبناء المجتمع الفاضل؛ المؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقضاء خيره وشره. وفيه الجزاء والعقاب. جنة ونعيم مقيم للمؤمنين به، ونار

للمجرمين الكافرين به. وبهذا الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب من لدن الخالق العظيم، يحصل الوازع والرادع الذي به يلتزم الإنسان إذا أسلم لربه أن لا يصدر منه إلاّ الخير، ويكف نفسه عن كل مامن شأنه الإساءة أو الضرر، وإن كان يرى أنه في مأمن من أي عقاب في الدنيا. وهذا الإنسان المسلم ليس خوفه من عمل الشر معلقاً بزمان أو مكان، ولكنه مرتبط بخشيته من رب العالمين الدائم القائم، الذي سيجزي كل نفس بما كسبت...

إن كل نهي للإنسان المسلم من الله تعالى، يتمثل في أمره (لاتفعل) وهو مع ذلك، لايعمل مايسيء إلى غيره، ويقف عند هذا الحد، بل يندفع لعمل الخير، ويضحي في سبيله، ويوقن أن التعويض عن كل ذلك لعظيم، حيث ينال رضى خالقه، خالق الوجود كله، وأن له مع ذلك في الآخرة، حياة أبدية سعيدة جزاء جهاده في هذه الدنيا الفانية وطاعته لربه.

هامشية الغرب

الحياة الغربية خاصة، والحياة العصرية عامة، لم يسبق لها مثيل لما تزخر به من صنوف التغيير، وأنواع التشكل، ومايتبعها من متطلبات متشعبة، قد يستحسنها بعضهم، أو يستقبحها، في جملتها أو تفصيلها، مع مالها من أثر بائن، وتأثير ظاهر في الإنسان وحياته، تدل عليه بصماتها التي تركتها في كل مكان حلت فيه.

وأي إنسان تأثر بها، وأعجب بها وأحبها، وإن كان لايبدو ذلك للوهلة الأولى، فإنه لايرى غير بهرجها وتزويقها، (لأن حب الشيء يعمي ويصم).

والسؤال الذي يطرح: هل هذا الإنسان حقاً مطمئن بها تماماً؟!

فما لاشك فيه، أن مايقوم به بعضهم من ازدياد في الإجرام، وكثرة الإصابات العقلية والنفسية في بعضهم الآخر كما تثبته الإحصاءات الدقيقة في أعلى المستويات، ونسبة تصاعد خطها البياني، كل هذا يقيم الدليل الواضح على وجود السخط العارم لدى هذا الإنسان، وتبرمه من هذه الحياة التي يعيشها على هذه الشاكلة.

فكأن هذا التقدم الكبير حاصل في الأشياء التي عملها،

والآلة التي أنتجها، أكثر مما هو حاصل في تقدم الإنسان نفسه!

وإنه قد يشق على من عاش في الحياة الغربية أجيالاً ألا يرى غير الافتخار بها، وخصوصاً أنه قد جنى من بعض جوانبها ثمرتها التي أمضى فيها صبره في طلب علومها، والتزامه بنظامها وشعوره بواجبها حتى وصلت إلى ماوصلت إليه.

وزاد من اعتزازه بها، ماقد رأى من فوضى بعض الشعوب، وضياع مواردها وطاقاتها، وهو قد كشف الكثير من خبايا الأرض وأسرارها ومحيطاتها وأجوائها، ويتطلع إلى غزو الكواكب البعيدة. فيصعب عليه مراجعة مواقفه من هذه الناحية التي يحياها، فضلاً عن التغيير في شيء منها، وإن ظهر له في ذلك صلاح نفسه ومجتمعه، إذ يرى أن تلك الأوضاع، قامت على أصول مدروسة فانشأت بيئة تتناسب مع ماتوصل إليه من تقدم، فهل يرجع القهقرى، وينقض مابناه؟.

كل هذا يجول في فكره حين يعرض عليه مثل هذا الأمر.

وإذن ماالسبيل وإنذارات الخطر تدق بشدة بمظاهر التفسخ والتحلل التي عمت وانتشرت؟!

أبعد هذا ينبغي أن يقف لينتظر انحداره المريع، وتدهوره السريع، وهو لايحرك ساكناً؟!

وإذا لم يكن في وسعه زحزحة ذلك عن مجتمعه، فعلى الأقل يحق له مراجعة مواقفه من تلك الأمور التي سرت في الجذور، قبل

أن تبـدو في الـظهور، كي يتخذ منها موقفاً يدفع عن نفسه هذه الأخطار المحدقة.

وإذا ماتـوسع إصلاحه مع غيره، قد يستطيع التحول إلى الأحسن والأسلم، وأن يحافظ على كيانه، فبقاء هذه الحالة بما تحمل من شرور في طواياها، تهدد سلامة الإنسان، وتفتك به على المدى القريب أو البعيد.

ولاعجب أن نرى، كلما زاد شيوع ذلـك في المجتمعـات المتحضره، ازدادت نسبة الانتحار بين أفرادها، وهذا مايفسر بما لايقبل الشك، أن هذه الحالة في حياة الأفراد والشعوب، هي من أعظم أسباب الانتحار ودوافعه، ومن كان يحيى على هامش الحياة، يسهل عليه الخروج منها.

ولابد أن يعلم أن عدواً خفياً يعمل لإبادته من داخله ـ من غير أن يخسر جنـداً أو عتـاداً، أو أن يظهر عياناً ـ بدهاء ماكر، وتخطيط خطير، منذ أزمان ولايزال، ليتمكن من إشاعة الانحلال العـام، والقضـاء على تماسـك المجتمعات، بالعديد من الكتب والصحف ووسائل الإعلام، والمحافل وبعض الأندية ودور اللهو الماجنة، وعلب الليل الحمراء.. الخ. حتى غدا يروج لها، ويجني الأرباح الطائلة من ورائها على حساب كرامة الإنسان وحياته، ولم يقف عند هذا الحد، بل كوّن طابوراً خامساً يدافع عن كل هذا في كل مكان، وكأنهم حراس لأهدافه ومطامعه، بعد أن استغل ناحية الضعف من جانب الهوى والشهوات في الإنسان، وصور له

أنها هي الحياة الصحيحة، والواقع أنها الحياة الهامشية، وليست الحياة الصحيحة.

إن هذا العدو قد أغرى باستبدال الخبائث بالطيبات، ومن تلك الظواهر الملموسة والمحسوسة، تفضيل الخمور بأنواعها على صنوف الشراب، ونفث الدخان في مجاري التنفس عوضاً عن استنشاق الهواء النقي، وإحلال الزنى محل العفاف، والقمار في موضع اللعب البريء، والربا مقام القرض الحسن، والبيع والمشاركة في المال، ومكانة الزوج الذي يشاطر الحياة، شاركته الخليلة أو الصاحب، ففقدت الأسرة رابطتها بعد تفكك نواتها، وذهب معناها، ومعنى الحب قد ابتذل، واتخذ له سبيل آخر، وربما اقتصر على الجنس أكثر منه على أي شيء آخر؛ فلم تعد العواطف الحارة، والرعاية الحانية من الوالدين للأولاد، ولا الشعور بالمحبة والاهتمام بالوالدين من الأولاد إلّا في أضيق الحدود، وأقل الأوقات - إن وجد - وخُيل مع هذا للإنسان أن هذه الأمور لامناص منها، ولايمكن الخروج من إطارها، فانقلبت عنده الموازين، واختلت المعايير، وتبدلت المفاهيم الأخلاقية فما كان منكراً أصبح معروفاً. وليس معنى هذا أن يخلو الإنسان من أية نزوة أو شهوة، ويصبح ملاكاً في كل أحواله، فقد ركز فيه الاستعداد الغريزي للميل إلى التسامي أو التدني على حد سواء، وأُبين له الطريقان، ولكن أن يبقى جانب التدني العامل الفعال في الحياة، في مجاهرة وإباحة، هو الشذوذ الذي ينبغي تداركه.

إن كل إصلاح في المجتمع، لايقوم إلّا على منهج واضح،

ترسم من خلاله خطة العمل في خطوطها العريضة، وتوجيهاتها العامة، ثم تتفرع عنها كل التفصيلات المرتبطة بها.

وإذا ماأختير إصلاح لهذا الإنسان، فهل يسير على ما سبق أن جرى عليه، ودار في حلقته المفرغة؟ أن يختار الترقيع من بين تلك المناهج المتشعبة المتضاربة التي تأخذ به تارة ذات اليمين، وتارة ذات اليسار؟ وقد تبين من تراجعها في الكثير من مواقفها ماينبىء أن يوم إفلاسها لقريب.

أو أنه يبقى رهن بقايا آثار الاعتقاد الباطل بتعدد الآلهة من جهة، وبالحرب القائمة منذ القديم بينها وبين الإنسان من جهة أخرى، كما تصوره الأساطير التي لاترتكز على علم ولابرهان.

إن نظرة متأملة يرسلها الإنسان العاقل في هذا الكون، وأخرى في نفسه، لايغير منها التكرار المعتاد، أو تلك النظرية الواهية التي تقول: الطبيعة خلقت مصادفة، أو أنها خلقت نفسها بنفسها ـ لكفيلة بأن تريه أن هناك منهاجاً وسطاً، لايفقد فيه الإنسان ذاته بين تلك الأمور، ولايحسب جانبه ـ آخر المطاف جزءاً من الآلة، أو جزيئاً من المادة، وإنما يعطيه حقه الكامل كإنسان رفع فوق الجماد والنبات والحيوان، بل سُخر له كل ماحوله من أرض وسماء ومابينهما. وكيف يظل غافلاً عمن مده بجميع هذه النعم، وهو يسكن أرضه، ويستظل بسمائه، ويتمتع بنعمائه؟! ولايشكره بطاعته وعبادته ومن عرف ربه، عرف نفسه وفهم الوجود.

غير أن المادة قد طغت عليه، فأبعدته عن معرفة روحه التي

بواسطتها يتصل بخالقه العظيم، وخالق الكون كله، وهو لايقر لهذه الروح بالاعتراف، إلّا من خلال مايتناوله من المشروبات الكحولية (الخمور) فيسميها بالروحية، فلا غرو إذا ماأضر بنفسه وجسمه ومجتمعه جميعاً. وحين تكون له الإرادة والطموح للعودة الصحيحة إلى الروح، فينبغي ألّا يبخل عن نفسه ببعض الوقت، للنظر في الإسلام مجرداً عمن لايمثلون جوهره، والذين لايطبقونه على أنفسهم تطبيقاً صحيحاً، أو من يشوهون حقائقه لكي يرى فيه ذلك التكامل الرائع للنفس البشرية وتوجيهها إلى الخير المحض، وتجنيبها ويلات الشرور، شاملاً ذلك كل المستويات الإنسانية، ويرعى كل جانب من جوانبها في توازن عجيب، تتضاءل عنده القدرة البشرية بكل طاقاتها لأنه من خالق الخلق، العليم البصير بطبائع هذا الإنسان واللطيف الرحيم به، وقد أنزل له قرآنا كريماً، تعهد بحفظه وسلامته من الباطل، أو التغيير أو التحريف. وأرسل مع هذا الكتاب العظيم رسولاً ونبياً، ختم به الأنبياء جميعاً، وجعله خير قدوة للمؤمنين به ورحمة للناس أجمعين، فمن آمن به نال أعظم سعادة.

وقد يخطر سؤال لإنسان ما فيقول:

ماهو الكسب من تطبيق هذا المنهج الرباني للإنسان؟

الجواب: لهذا الكسب وجوه عديدة، فأول كسب يحصل عليه هذا الإنسان، طمأنينته النفسية بالإيمان به، ومعرفته لنفسه وخالقه المعرفة الحقة، وخروجه من قوقعة المادة التي هي سجن وأغلال لروحه، لايرى ذلك إلّا حين يخرج منها.

هذا عطاء الله للإنسان، فأما عطاء الإنسان للإنسان ـ أياً كان شكل هذا العطاء ـ فإنه نافد ومحدود في كمه، ومقصور على زمانه ومكانه. أما مايحظى به الإنسان المؤمن بعطائه من ربه الكريم، فيختلف كل الاختلاف، لأن عطاء الله تعالى عطاء غير محدود ولا فان. لذلك فالدنيا كلها، وما أقصر عمر الإنسان فيها، لاتكفي لاستيعاب ذلك العطاء. وهذه الدنيا بنعيمها وجحيمها امتحان للجميع، أما الدار الآخرة، فهي دار الجزاء.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ، إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1]

---

(١) ـ الآية ٤٤ من سورة غافر.

كتاب عظيم

لو أشيع أنه عثر في أحد الكهوف على كتاب يكشف عن كيفية بناء بعلبك والأهرام، لتسابق الناس لاقتنائه والعكوف عليه.

وماذا هم فاعلون، لو وجدوا كتاباً آخر، هو أعظم من ذلك، وأخطر شأناً من تركيب الأحجار وتحنيط الموتى، يبين لهم في وضوح، كيف يكون بناء الإنسان المثالي، الذي هو أعلى وأغلى من هذه الأحجار والآثار؟.

إنه يسلك بالإنسان إلى الخير والفضيلة في يسر، ويعرفه بربه، ويجعل منه نموذجاً للفرد المؤمن الصالح.

وقد خرج هذا الكتاب أناساً ـ هم في نشر العدل ورفع الظلم، وبث الخير بين الناس ـ أعظم شموخاً من تلك الصروح.

ولم تكن عظمتهم مبنية من كد الشعوب وعرقها،وتسخيرها، وإنما من تفانيهم في سبيل الحق، ولزومهم لأهداف هذا الكتاب العظيم، وهم الذين لم يكونوا من قبله شيئاً مذكوراً. عرفوا أنفسهم به، فتواضعوا لربهم، يسخرون عقولهم وطاقاتهم فيما يقربهم إلى خالقهم سبحانه، ويوصلون الخير للناس، بقدر ماأوتوا من قوة وموهبة، ولايرجون جزاءً إلاّ من خالقهم العلي الكبير.

إن أي إنسان، إذا وصله كتاب، سواء كان من صغير أو كبير، سارع بكل لهفة وشوق ليقرأه، وإذا كان هذا الكتاب ـ الذي وصل إليه ـ بلغة غير لغته، بحث عمن يترجمه.

وكم إنسان استهوته رواية، أو قصة، فأجهد نفسه ليحفظ الرواية، ويفهم القصة!

فما باله، وهذا كتاب عظيم موجه إليه من خالقه، وخالق العالم كله!

وهذا الكتاب، ليس خاصاً لأحد دون أحد، ولكنه موجَّهٌ للناس كافة، فكيف تغفل أيها الإنسان عنه؟

إنك لو اطلعت عليه، لوجدت فيه طمأنينتك وسعادتك التي لاتزال تبحث عنها في لهف، ولن تعثر عليها في غيره، لأنها ليست موجودة إلاّ فيه.

الإنسان وغفلته عن رَبّه

ماأكثر مايفكر فيه الإنسان، من يوم مايعقل، إلى يوم يفارق الحياة، ولكن جل ذلك التفكير لدى أكثر الناس في التافه من الأمور، ويغفل عن أهم أمر يتعلق به مصيره.

إنه يمر على ماحوله من الأشياء، وكأنها لاتسترعي أي انتباه إلاّ ماينتفع منها في المصالح الآنية.

هل فكر في ساعة من ساعات فراغه، وقال لنفسه: أيجمل بي أن أسكن في بيت قد أعد لي فيه كل ماأحتاج إليه من أكل وشرب، ومعاش ومنام، ولاأتعرف إلى صاحبه؟

أما يجدر بي أن أعرف ربي الذي هيأ لي هذه النعم في أرضه وسمائه، لأقوم بحق الشكر والذكر والعبادة له وحده؟!

إنه لايعقل، بل يستحيل أن تلك القوانين الثابتة، والنظام البديع الرائع، الذي أشاهده في صفحة السماء وعلى وجه الأرض، أن تكون حصلت بطريق المصادفة، وإنما أبدعها، ووضع قوانينها خالق حكيم متفرد، إذ لااختلاف أو تعارض في مخلوقاته، وهذا يفهمه الإنسان العاقل المتأمل بداهة. فليس لهذا الكون إلاّ قيوم

واحد، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[1]

ويتضح له في نفسه أمور وأشياء في غاية الإتقان والدقة، ومنتهى الإحسان، من سمع وبصر وقلب وغيرها، فيعلم أنه يتعذر عليه وجودها من غير موجد عليم بصير.

وأن الإنسان بما وهب من هذه المواهب، وجد ليجدّ ويعمل، ولم يخلق عبثاً.

ويميزه العقل والفهم والبيان عن سائر المخلوقات، بل شرّفه الله تعالى بها وكرّمه، وعليه بها مسؤولية تجاه من غفل أو ضل عن الطريق المستقيم، الموصل إلى الله تعالى. فيوثق صلته بربه ليستوحي منه القوة والتوفيق والسداد، حتى تكون حياته مشعل خير للحق، والفضيلة، والعدل بين الناس، وليعم الخير وجه الأرض، وينعم الجميع بالطمأنينة.

---

(١) ـ الآية ٢٢ من سورة الأنبياء.

إنسان هذا العصر

﴿واللهُ خَلَقَكُمْ ومَا تَعْمَلُونَ﴾.[1]

﴿ويَخْلُقُ مَا لاتَعْلَمُونَ﴾.[2]

﴿عَلَّمَ الإنْسَانَ مَالم يَعْلَمْ﴾.[3]

﴿والْعَصرِ إنَّ الإنْسانَ لَفي خُسرٍ * إلاّ الَّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات وتَواصَوْا بالحَقّ وتَواصوْا بِالصَّبْرِ﴾.[4]

يالحسرة إنسان هذا العصر! إنه لفي خيبة وخسر، فهو كلما ازداد علماً بظاهر الحياة، ازداد كفراً بخالقها، فهو يفكر ويبتدع، ويخترع ويصنع، كثر إنتاجه لأربه، وقلّت طاعته لربه، ويلحد ويجحد ويفسد، سادر في غيه، باذل كل جهده في شهواته.

﴿فخلف من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾.[5]

---

(١) ـ الآية ٩٦ من سورة الصافات.

(٢) ـ الآية ٨ من سورة النحل.

(٣) ـ الآية ٥ من سورة العلق.

(٤) ـ سورة العصر بكاملها.

(٥) ـ الآية ٥٩ من سورة مريم.

غافل عن موجده، غير متبصر في نفسه.
﴿وفي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُون﴾.[1]

يريد الدنيا وفق هواه، وإن كان في ذلك قتل النفوس والأرواح، وتخريب البلدان، وسحق الفضائل، ونشر المنكرات.

﴿ولَوِ اتَّبَعَ الحقُّ أهْواءَهُمْ لَفَسَدتِ السَّمواتُ والأرْضُ ومَنْ فِيهِنَّ﴾.[2]

﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَاأكْفَرَهُ﴾.[3]

يرى الدليل فيزور عنه ﴿أفَلا يَتَدبَّرُون القُرْآن أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفَالُهَا﴾.[4]

ويظهر الشاهد فيعمى عنه ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لايَعْقِلُون﴾.[5]

أيصح أن ينكر: أنه ليس لهذا الجهاز الآلي من صانع، وهو صانعه؟!

فكيف يشك في الله، وجهاز تنفسه هو خالقه؟
أفيؤمن بالآلة الصماء، ويكفر برب الأرض والسماء؟

---

(١) ـ الآية ٢١ من سورة الذاريات.
(٢) ـ الآية ٧١ من سورة المؤمنون.
(٣) ـ الآية ١٧ من سورة عبس.
(٤) ـ الآية ٢٤ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم.
(٥) ـ الآية ١٨ من سورة البقرة.

فانظر جزاء كفرانه، لقد أحال الله تعالى طمأنينته إلى قلق واضطراب، وسلامه إلى خوف وهلع.

فظل يستنفد جميع طاقاته لإبادة جنسه، حافراً قبره بنفسه؛ ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾.[1]

أما آن للموصوف بالعلم الظاهر، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.[2] أن يثوب إلى رشده، ويتوب عن ذنبه، ويقلع عن فساده وإفساده، ويؤمن بخالقه من العدم، بما جاءه من آيات وهدى وماظهر له من أسرار تدل على الموجد القديم سبحانه، وإن لم يؤمن، فقد أشرف على الهاوية التي لاتبقي ولاتذر، لوّاحة للبشر.

فما له بدون تفكر وعمق نظر، يستبدل فانية بباقية، وأياماً قصاراً، مفعمة بالمكاره، مترعة بالآلام، بأيام طوال معمورة بالنعيم، مغمورة بالمسرات، ألا يحسن أن يجمع بين الفضيلتين ويحظى بالسعادتين!.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

أين هو من العقل والذكاء؟

لقد امتحن في هذه الدار، وهو فيها موضع اختبار، فويل ثم ويل له إن لم يتدارك نفسه، فسوف يكون مآله إلى النار.

---

(١) ـ الآية ٢ من سورة الحشر.

(٢) ـ الآية ٧ من سورة الروم.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى. وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى. فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾.[1]

(١) ـ الآيات ٣٧ ـ ٤١ من سورة النازعات.

في المظاهر

لو نظر الإنسان ملياً، لوجد أغلب الناس يتكالبون على الظهور والشهرة، ونيل المديح والتعظيم. ويختلفون في وسائل الوصول إلى ذلك.

فمنهم من يبذل من نفسه ووقته وماله الشيء الكثير، ومنهم من يسلك طريق الظلم والتعسف.

والعجيب جداً، أن يكون تعظيم الناس للمظاهر لا للواقع، فبقدر ماتتناقص هذه المظاهر لدى فرد من الأفراد، بقدر مايقل تعظيم الناس له، وإن كان هو لم يتغير في شيء من نفسه.

فمثلاً، يفلس تاجر كبير- ولو بطريق مشروع - أو يستقيل ذو منصب عال من مركزه، أو تنتهي مدة عمله، وهو في الماضي قد حظي من الناس بمزيد من التقدير والتبجيل، فيشعر بحسرة، ومع فقده لذلك المقام، يقابل من كثير من الناس بإغضاء وابتعاد.

إنه لو حسب لذلك الحساب الدقيق، لم ينظر إلى أمرهم إلاّ نظرة الحقيقة والواقع، فلا يعتمد اعتماداً كلياً على هذه المظاهر الجوفاء التي كان يظن أنها تزفه إلى المجد، ولكن أثبتت التجارب، أنه في غالب الأحيان، تكون هذه المظاهر الفارغة ثقلاً عليه، وتزيد

من مشكلاته ومآسيه، فهو في انشغاله بها، يفقد الكثير من الطاقة والعمل للتوجيه، كما تستر عنه كثيراً من الحقائق التي تصدمه في النهاية، وهو لم يحسب لها حساباً.

ليس المراد من تبيان ذلك، قتل روح الطموح في الإنسان، ولكن تعلق الإنسان بهذه المظاهر، يمنع من اندفاعه الصحيح نحو الغاية المثلى لإدراك الأمور على حقيقتها، كما أنها غالباً ماتحرف الإنسان عن الهدف الأصيل. ومتى استولت عليه، فستكون همه الوحيد، للمحافظة عليها مهما كلفه الأمر.

وهذا الذي يحلو له عمل ذلك، يعتذر إلى نفسه ويقول لها: إنه لو لم يسع إلى هذه الشهرة، وهذا المظهر، لم يستقم له أمر، ولم يستطع أن يسيرها على النحو الذي يكسب به النجاح، لأنه من طبيعة الناس أنهم لايحترمون إلاّ من تلبس بهذه المظاهر، وكذلك يكون في منعة من أن يناله أحد بأذى حين يكون له مثل ذلك.

إن هذا موجود حقيقة في كثير من الناس، ومن قديم الزمان.

ولكن لو سعى كل فرد، وضحى بتفاخره وتعاليه بوعي وتسامح، فإنه - مع مرور الزمن - تصبح العادة عند الناس ماتواضعوا عليه من تقدير لقيمة الإنسان، لا لمظاهره. وبذلك يكسب الإنسان نفسه وأبناءه، بعد حين، النظر الصحيح للأمور وتقديرها وتنحسر هيمنة ذوي المظاهر، وعشاق الظهور من مزاحمة الناس في الأمور المشروعة، وينعم الجميع بالطمأنينة والعيش الهانيء في جو خال من الدعاية الصاخبة... ويرشدنا القرآن

الكريم إلى ذلك بالآية الكريمة: ﴿ولاتصعِّر خدَّكَ للناس، ولاتمشِ في الأرض مَرَحاً، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾.[1]

فالمسلم الحق لاتغره تلك المظاهر، وحكمه فيها، ليس مستوحى من ذاته، بل بما يتفق ورضاء الله تعالى عنه، فيقول الحق ولو على نفسه، أو أقرب الناس إليه بصدق ورضى، لايبالي أن يصيبه أذى، أو فوات أمر، لأنه إن انحرف في شيء، فسوف يقع الظلم، وكيف يحق لمسلم يرجو ماعند الله تعالى، أن يظلم على علم وبصيرة، وهو يقصد في عمله وقوله مرضاة ربه سبحانه، ولايعبأ بالجواذب التي تريد أن تحرفه عن استقامته، وإنه إن لم يُقدَّر، أو يجازَ من قبل الناس بأجر يستحقه، فطمعه بما عند ربه، ويكفيه مايكسبه من اطمئنان وراحة ضمير، ومساهمة في بناء مجتمع نظيف.

---

(١) - الآية ٣٧ من سورة الإسراء.

الأخطاء والأهواء

إن أعظم مايصد الإنسان عن الغايات السامية ـ هو في الغالب ـ عدم محاولته التعرف على أخطائه، كما لايسمح لأحد أن يبينها له، فتولد أخطاؤه أخطاءً، ويكون قد وضع نفسه في صندوق مقفل.

ولهذا تجد كثيراً من الناس يعرضون عن القرآن الكريم، لأنه يبين لهم ماهم فيه من أخطاء. وإنهم لو أرادوا الرشد، لأرهفوا السمع لآياته البينات التي أنزلها خالقهم سبحانه، الذي هو أعلم بهم، وبنفوسهم، وأعلم بما يشفيهم من هذه الأخطاء التي أورثت الأمراض الاجتماعية والنفسية.

إن الإنسان لابد له من ضابط لنفسه وأهوائه، وإلّا، إذا تركت أهواؤه تعمل، وتخطط له مصيره، فإنه ستكون الغلبة لأقوى النوازع فيه، وأشدها تأثيراً في نفوس الناس، وإن العقلاء وذوي الرأي السليم، سوف لايكونون إلّا في مؤخرة هذا الركب الجامح، وسيصبح التوجيه والزمام بيد من يحسنون تغرير الناس، وإشباع نهمهم في الملذات غير المشروعة، وبذلك يقوى الشر، وتثبت دعائمه إلى حين، ويكون له مدرسة تخرج الملايين من الناس، متأثرين أشد الأثر بهذا النمط من الحياة الدنسة التافهة، فهل

يرضى إنسان عاقل مفكر، يريد الخير لنفسه ومجتمعه هذا المصير؟! ولا شك أن هذه الحالة قد بذرت بذورها، وانبرى أصحاب اللذات والشهوات بتعهدها، وهذا مايهدد الإنسان وحضارته معه في أسرع وقت بحكم الانحدار المريع، التي سخر الإنسان جُلّ حضارته لها، واستمرأ هذه الحالة.

إن الإنسان لو فكر في الأمر وخطورته، وحاول إنقاذ نفسه وحضارته بإخلاص، لهداه البحث إلى مايصلح وضعه، ويمنع عنه تدهوره، وذلك هو الإسلام الذي يطعم المادة بالروح، ليمد شرايينها بالدم الصافي للحياة، كي لاتفتك بها الأمراض.

أيخشى الإنسان على حريته من الإسلام؟! وهو الذي يرفع عنه القيود. لكن أيرضى الإنسان العاقل ألّا توضع للجريمة، والمجرمين حدود؟! أيرضى ألّا يمنع الظلم بأي شكل من أشكاله؟! أيرضى ألّا يكون في جانب الحق والفضيلة؟!

ألا يحب أن يعرف ربه الذي خلقه، وأبدع الكون؟!

فالإسلام يريدمن الإنسان أن يسير على هذا النهج القويم في الحياة، وأن يكون لأهل الخير شخصيتهم، ولذلك فهو لايرضى بالفساد في الأرض.

يتميز الإنسان السوي عن سائر الحيوانات، بأنه يفرق بين الحق والباطل.

غير أن عدم اهتمامه الصادق بهذه الناحية لدى الكثير من بني

جنسه، جعله كالحيوان الأعجم، فانحدر إلى المستوى الوضيع، واتخذ للفضيلة معاني لاتتفق وحقيقتها، وإنما تتفق مع أهوائه ونزواته، وجرى التعامل بينه وبين الناس، بنفس الطريقة في الحقوق والواجبات.

وإن كان في الحاضر والماضي أناس، يزنون الأمور بميزان العقل والأخلاق، ووضع الحق في نصابه، غير أن جحافل الجيل المقبل، سوف تلعب بعقولها أفلام الغرام، والإجرام، والرقص المثير للغرائز، وتسلب منا البقية الباقية من الأخلاق بما يمحو من مخيلته ذلك الاحترام للخلق الحسن، يغذي ذلك مايصادفه يومياً، مقروءاً ومسموعاً، ومرئياً، إذ كل ذلك يخلق له محيطاً يرتع فيه ويترعرع بالأفكار المنحرفة، والتضليل المسموم، مضافاً إلى ذلك أسباب الترف والانغماس في الشهوات المحرمة، مما يظهر جلياً في التفنن فيها، من حفلات الرقص والمجون، والتعري العلني مع الحرية المطلقة، (والتكالب) على الشهرة بأي طريق، سيكون من ثمرته فقدان الإنسان لإنسانيته الحقة، ولايمكن لأحد أن يرضى لابنه، أو ابنته، أن يصبح الشذوذ لهما عادة.

إن هذه الأجيال، إن لم تغير من نفسها، فإنها سائرة إلى هذا الانحراف ـ إن لم يكن حاصلاً بالفعل ـ وقد كاد أن يفلت الزمام.

وكذلك لايرضى الإنسان ذو العقل والتفكير السليم مايخرج به وبأبنائه عن إنسانيتهم. وهو الذي يوجه الكثير من اهتمامه، لإصلاح ماله، وتنميته، وعدم التفريط فيه، ولايبذل مثل هذا

الجهد الكافي لإصلاح نفسه وبنيه الذين هم الأساس لذلك المال، فإن أضاع هذا الأساس، أضاع الكل.

إن الأبناء إذا ماأعدوا إعداداً سليمًا، خالياً من الانحراف، كانت لهم القابلية والاستعداد، لمعرفة الكثير من الأسرار في هذه الحياة، والجدارة الفائقة فيما يسند إليهم.

وهذا يتطلب من الإنسان العاقل أن يغير من أسلوب حياته وترفيهه، فلا يسمح لأحد استغلاله، على حساب طمأنينته وهناءة عيشه، وضياع دنياه وآخرته. وحين يعود إلى الطريق المستقيم، آخذاً بنصيبه في هذا المجال، فيما هو صالح ومباح، سوف لايعدم ذلك الترفيه البناء.

اختلال التقدير والاستقامة

من الأمثلة على اختلال التقدير عند بعض الناس، أنهم إذا نظروا إلى شخص، فإما أن ينظروا إليه بتعظيم، وإما أن ينظروا إليه باستصغار.

فإن عظموه، بالغوا، وإن استصغروه، اقتحموه بأبصارهم، وتناولوه بألسنتهم، وإن أحبوه عظموه، وإن أبغضوه أذلوه.

أما ذلك التوازن والتوسط في الأمور، والتقدير الصحيح، فهو نادر، وربما يكون ذلك بسبب تحكم العاطفة، وارتجالية النظرة، وبقايا تصرفات الطفولة، وإن كانوا كباراً في السن.

وغالباً مايقدم الخطيب أو المؤلف للجمهور بكلمات إطراء أو تقريظ، تجعل حوله هالة من التعظيم.

والمراد بذلك، أن يكون الناس متقبلين لكلامه، فلا يتركونهم يقدرون بأنفسهم ماإذا كان ماألقاه أو كتبه ذا قيمة أم لا.

فكأن الجمهور يعامل معاملة الأطفال، أو أقل حتى ألف بعض الناس ذلك، فمن لم يمدح، أو يقدم، يصرف النظر عنه، وعما سيعرضه.

ونشأ من هذه النظرة تعطل جانب من التفكير في معرفة الحق مجرداً من الظواهر.

وهذه الظواهر، سرعان ماتتغير وتتبدل، فلا يمكن معها الاستدلال على الحقيقة بهذه الطريقة، إذ لايبقى هذا المقدم، أو المعرف، دائمًا مع هذا الإنسان، فيصبح فاقد القدرة على التعرف، محصور النظرة في الغالب.

الدّعوة والدّاعيَة

ليس من السهل الكلام في الدعوة إلى الله تعالى، فهي أعظم مهمة في هذا الوجود، ولاتناط إلا بمن منَّ الله تعالى عليهم من الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وورثتهم بالعلم ومن تبعهم بإحسان.

وإنما يجول في الخاطر شيء من باب التذكير، وأحببت أن أذكره، وهو أن الداعي إلى الله سبحانه، إذ يضطلع بأمر الدعوة، مطلوب منه أن يأخذ بالحكمة والموعظة الحسنة ويحسن القول والعمل، مع إخلاص لله تعالى، والتزود بالعلم، وأن يتصف بالصفح عما يناله من أذى الناس وعداوتهم بصبر يقلب تلك العداوة إلى مودة بعون الله تعالى، في نفسه من أجل هدايتهم، وليستل مافي نفوسهم من ذلك النفور، حتى لايبعدوا عن هذا الدين، ساعياً لدخول الإيمان في قلوبهم، وتمكينه من أنفسهم، وبهذا يظهر سر ذلك الأثر العظيم لدعاة الإسلام السابقين الذين كان سلوكهم ترجمة حية للإسلام، كأنهم نجوم تعكس على الأرض والكون أنوار القرآن الكريم. وإذا ماأردنا أن نقارن حالنا معهم، نجد ذلك الفارق الكبير، إذ نطلب من الآخرين ماقد نعجز عنه. وهذه الطريقة جعلت الكثيرين بعيدين كل البعد عن التأثير لإيجاد

نوع أو نموذج لذلك المسلم الأول ـ إلاّ ماندر ـ لأنه مالم يكن الداعية صورة صادقة لما ينادي به، ويدعو إليه، وكيف وهو يقول مالا يفعل، ويعمل خلاف مايقول. وقد يفقد صبره عند أدنى مكابدة تلقاه، أو فتنة تغريه. ولذلك فتهذيب النفوس أمر ضروري لهذا الأساس أو القاعدة التي بني عليها ذلك كله، حيث أن للنفس البشرية أمراً عجيباً، فهي ألدّ أعدائنا، وحين نتمكن منها، ونتغلب عليها، تكون أول خطوة في طريق الدعوة ـ بمشيئة الله تعالى ـ ما دمنا منتبهين لهذا العدو الكامن فينا، والذي إذا ماغفلنا عنه، انقضّ علينا، وأضاع منا كل مابنيناه، فيخفت داعي الإيمان في داخلنا، وإن كنا نصرخ به في الناس.

أما حين تتشرب النفوس معنى التقوى والعمل، كما تشّربها الأولون، فإنها تذعن عن طاعة واختيار لتطبيق أوامر ربها، وتنتهي عن نواهيه، قبل أن تأمر غيرها أو تنهاه، فيقوى صوت الدعوة بتغلغله في شغاف القلوب، وتحركه في الوجود نوراً يسري في الحياة، وعملاً صالحاً بين الأحياء.

ومن ميزات هذا الأسلوب في تربية الناس، ودعوتهم إلى الله، أن لايكثر القول مخافة السآمة منهم، وإنما يقدم إليهم مايقدرون عليه، ويستطيعون العمل به بوضوح شيئاً فشيئاً خطوة فخطوة. وبمعرفة الداعي حقائق الإسلام، وعرضه في صورة غير منقوصة ولامشوهة، فاقهاً للفارق بين ماينبغي أن يكون عليه المسلم، وماهو الحال الذي هو فيه، من قرب أو بعد، ومن هو في بيئة غير صالحة، أو مجتمع غير مؤمن، وأحب أن يعود للإسلام، أو أن

يدخل فيه؛ يكون الداعي بهذا التشخيص كالطبيب لمعالجة مريضه بما يناسبه من الدواء.

وإن جاز التعبير، وصح القول، للراقي في سلم الإسلام ثلاث درجات: السلبي، الإيجابي، والمجاهد.

فالسلبي: من يتجنب المحرمات، وقد يظلم نفسه في شيء منها، في غير ماإباحة ولامجاهرة، ولكن لايظلم نفسه على كل حال.

والإيجابي: من يحاسب نفسه ولايتردد في عمله البر والصالحات.

وأما المجاهد: فهو السباق إلى كل خير، ومن باع نفسه وماله لله، ليكتب عند الله من الشهداء في أي مرتبة من مراتبهم التي ييسرها الله له، سواء في ساحة القتال لإعلاء كلمة الله، أو في طلب العلم، أو جهاد النفس، أو في كل ذلك، لا يقعده عن ذلك مال ولابنون ولاتلهيه تجارة ولابيع عن ذكر الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وجميع مالله عليه من حقوق وواجبات، حسب قدراته، جاعلاً قدوته في ذلك، خاتم النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم.

بَعض الدّعاة

يغلب على بعض الداعين حماس متزايد، وكأن هذا شرط أساسي لتبني هذه الدعوة بين الصراع العقلي، والتيارات الفكرية. ويبـدو أن الأمر أصبح تقليداً في الأجيال المتعاقبة. فمن كان لايتصف بهذا الحماس المتأجج، فهو غير أهل لها.

وتتابع ذلك حتى أخذ شيء من التفكير السطحي مجراه بينهم، ونشأ عن ذلك أن الداعي لايتقبل أي نقد بناء، ولا يتسامح مع غيره في هذا، فحصل في ذهن مريده، أو تلميذه، أن لآرائه شبه قداسة، وأنه لاينبغي أن يتطاول إلى مقامه بتنبيه على خطأ، أو تبيان لصواب، ولو لمجرد مناقشة موضوعية في الأمور الفرعية.

ولم يقتصر ذلك على الداعين فقط، بل سرى إلى بعض أفراد المجتمع، وصار لهم كالطبع.

فالأستـاذ لايقبـل نقاش الطالب، والمسؤول أو الموظف لايقبـل مناقشة مراجعه، والرئيس أو المدير لايقبل كذلك من الموظف الذي عنده.. الخ، إلّا ماكان فيه نفاق أو مداهنة، حتى تحجر العقل على مر السنين، وكاد ينحصر الإحسان في التلقين. أما ماكان من التصرف والاستقلال، والنظرة الشاملة ـ مع المحافظة على الأخلاق والدين ـ فأصبح نادر الوجود، وليس المراد في هذا

إطلاق العنان للعقول أن تتخطى حدودها، وإنما المراد ألاّ تعطل، وأن تستعمل فيما خلقت له، وأن تقوم بواجبها تجاه هذا الدين العظيم الذي فيه الحل لمشكلات الإنسانية.

إنه لجدير بمن تصدى لهذا الأمر، أن يأخذ في هذا المجال بالسنة الصحيحة، و سنة الخلفاء الراشدين، حيث كانوا يتقبلون الانتقاد الذي يوجه إليهم، ويحمدون الله تعالى، الذي أوجد من بيّن لهم خطاهم إذا أخطأوا.

ونقطة أخرى عند أولئك الدعاة، أنهم حين يعرضون مواضيع الدين للناس، يتناولونها بالحسرة والأسى على واقع المسلمين، وبالوصف المشبع بالتنطع بمزايا هذا الدين، وكأنهم واقفون على ساحل بحر جليت لآلئه لهم عن بعد، وهم يقولون انظروا مافيه من لآلىء، وغيرهم ممن يكيد للدين يغوصون ويستخرجون الصدف ويعرضونها عليهم ويقولون هذا ماتنظرون.

هؤلاء الدعاة، لم يكلفوا أنفسهم مؤونة الغوص في الأعماق، ليدحضوا كلام المفترين، وليبرهنوا أن ذلك لؤلؤ لاصدف بها يطبقونه على أنفسهم أولاً من تعاليمه الحقة، وليكونوا قدوة حسنة، وخير أوعية تحمل هذه الكنوز الغالية إلى البشر في دعوتها لهذا الدين الحنيف.

في الإعلام

يمكن للمسلم أن ينظر من خلال الوضع غير الملائم للإسلام الذي يعيشه الآن كثير من الناس على اختلاف أشكالهم أنه حينما تدخل عليهم مبادىء الإسلام بأسلوب هادىء وتلطف بالتعبير، يقولون مادلنا على هذا أحد. وكأن الإسلام، بعيد عنهم، **و لم يعايشهم**، ويشعرون بشيء من **التفريط عن الخط المستقيم** الذي رسمه لهم الإسلام.

بإذن الاتصال المباشر، ولو لفترة قصيرة، يحدث أكبر الأثر مع عرض الدعوة بالحسنى، وتحسس مشاعر الناس للنواحي التي تنقصهم، والإسلام يكملها لهم دنيا وديناً، في النفس والروح والجسم، بما يهيء من الحياة الطيبة المطمئنة.

ودور الإعلام، وإن كان ضرورياً **إلا أنه ينبغي ملاحظة** أن مايعرض لايكون بطبيعة الحال صالحاً لكل الناس، **حيث أن** لكل إنسان نظراً خاصاً إلّا إذا كان المعروض عرضاً علمياً أو تعليمياً أو ترفيهياً، فإنه قد لايكون في ذلك الاختلاف الكبير بالنسبة لهم، إذ بالاتصال المباشر، يؤخذ اعتبار نوعية المستمعين، وتقريب مايمكن أن يؤثر فيهم. ولذلك فإن المؤتمرات التي لاتعالج مثل هذه الأمور عن قرب وتحسس وتكتب مقرراتها وتوصياتها من

واقع عملها مع هذه الفئات بتخصيص لجان او افراد يتولون دراسة الواقع على الطبيعة، في السوق والمصنع والحقل، وفي الأندية والمقاهي والشوارع والإدارات، سواء ماكان منها رئاسة أو مرؤوسية. أما إذا اقتصر الأمر على بحث المسائل نظرياً، فإن هذه الأبحاث والدراسات تكون صداً لبعضهم بعضاً داخل المقر الذي يجتمعون فيه أكثر منه فائدة للجميع، وحسبما يتفق وأهداف الإسلام.

١ ـ بتلك المعالجة العملية يمكن الخروج بأحسن الحلول بشتى المسائل في غالب الأمور المطروحة واقعياً مع تبادل الرأي والتعاون بين كل الأطراف المعنية بذلك، والتي هدفها إرضاء الله تعالى ونفع الناس.

٢ ـ يكون إقرار الحقائق الإسلامية بين النفوس و إظهار مايخالفها من التصور الخاطىء الذي هو حاصل في كثير من المجالات شيئاً محسوساً وملموساً من جانب، ومن جانب أخريتين في النفوس قدرة التشخيص لهذه الأخطاء و معالجتها ذاتياً في دائرة مسؤوليتها.

٣ ـ قد يساعد ذلك في المستقبل لخلق بيئة إسلامية بتبديل واقع مختلف بواقع متفق مع الإسلام، ولايكون هذا مجرد كلام أو كتابة، وإنما بالتواصي بالحق والصبر والرحمة والتعاون على البر والتقوى، ويحتاج هذا أن تعدّ النفوس الداعية لذلك، للتجرد من المصالح والغايات الدنيوية، وأن يكون العمل في هذا السبيل لوجه

الله تعالى وابتغاء مرضاته، وأن تكون الصراحة والنصيحة بأسلوب هادىء ودي شعار المتعاونين في الدعوة إلى الله والإسلام.

وإنه لتوجد طرق وأساليب لعرض الإسلام بتبيان مافي أحكامه وعباداته من فوائد وحكم بالمقارنة مع باقي الديانات والشرائع وفضل الإسلام عليها، وهذا الأسلوب تداخله الفلسفة والطرق العلمية البحتة وأساليبها في عرض الحقائق. وينبغي ملاحظة أن الطريقة الأولى الفلسفية لها إغراق في التشعب في البحوث، ومن تبين هذين الأسلوبين، يظهر لأسلوب القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة من ميزة التأثير في السامع لأول وهلة، ومع اختلاف أي مستوى من مستويات الإنسان، قدر استيعابه وقدرته في الفهم، سواء كان عالماً كبيراً، أو طفلاً صغيراً.

والتركيز على هذين المصدرين الكريمين، مع مالهما من قداسة، فيهما من تحريك النفوس القابلة للإيمان، مايعجز الإنسان عن وصفه، أو سر تأثيره. ولأجل ذلك ينبغي بذل جهود مركزة لاختيار تلك الشواهد من هذين المصدرين الشريفين، ليكونا ميسرين لمن يريد عرضهما على الناس، كل الناس، كل فيما يخصه منهما.

إلى من يؤمن بالله واليوم الآخر

كيف بنا يوم نلقى الله، وندعي أننا مؤمنون به وبكتابه، ونرضى لأنفسنا وأهلينا أن نساق وراء ضلالات البدع، تقليداً للغرب في قشوره وعريه، وننسى مانهى الله عنه في القرآن الكريم بصريح الآية ومابين لنا فيه، أن ثلاثة أوقات لايجوز للأطفال الذين لم يبلغوا الحلم الدخول علينا فيها إلّا بالاستئذان لئلا يكتشفوا عوراتنا. فما لنا نعينهم على كشف العورات، حتى سهل الأمر على كثير من النساء والفتيات أن يخرجن (كاسيات عاريات).[1]

أمع هذا يصان العفاف؟!

أم أن العفاف غير لازم لنا، ونحن نعيش في هذا العصر؟!

إنه منذ القديم وإلى الأبد، ستظل أمور فيها صلاح الإنسان وخيره، وإن ظل هو ينتهكها بين الحين والحين، لنزوته أو لشهوته، فالصدق، والأمانة، والعدل، والوفاء لايمكن لأي إنسان أن

---

(١) ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «... نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف...».

يقول: إنها كانت تصلح في الماضي، فهي لاتصلح لهذا الوقت ولاحاجة للصدق والأمانة والعدل.

وهنا أمور أخرى لها الحكم نفسه، وفيها أيضاً صلاح البشر وخيرهم كالعفاف، فإذا كانت الأمانة عظيمة لكونها إذا فقدت بين الناس ضاعت مصالحهم، واختلت أمورهم، ودبت الفوضى فيهم، كذلك العفاف فهو بهذه الخطورة. فكيف إذن نتهاون أو نستهين في أمر خطير، يؤدي حتمًا إلى المصير نفسه، في الأشخاص والأجيال؟! فإذا سلمنا بأهمية وعظم التفريط فيه، فإنه لابد من مصاحبة الحشمة والحياء، فهما له كالمحافظة على الأمانة. لذا أمرنا الخالق العليم جل شأنه بالابتعاد عن مواطن الإغراء والفتنة وبغض النظر، ليبقى العفاف مصوناً والعفة موفورة.

هذا ماوددتُ أن أذكر به الآباء والأمهات، فرجعت وقلت في نفسي: لم يبق عند كثير من الوالدين التأثير على أولادهم، لذلك فإني أذكر به الجميع، وأخص به الفتيات اللائي عندهن بقية من خشية الله تعالى، وأن الأمر قد تفاقم، وذهب معه الصواب، وانطمس الحق، وتزين الباطل. فإن خاطبتهن في دينهن فقد يقول قائل: لو بقي للدين وازعه لم تحتج لمثل هذا التذكير. فأقول: سأخاطبهن بالخلق، فتحدثني نفسي بأنه سيقال: أن الأخلاق نسبية، فما كان في الزمان الماضي، لايصلح لهذا الزمان، أما ترى ماكان مستقبحاً يتفاخر به الآن؟

فأعود وأقول: لقد وهب الله تعالى الإنسان العقل، فهو

يميز به الحق والفضيلة، مالم تنقلب عليه المفاهيم، فيجعلها أموراً نسبية في كل شيء، وعندها لايبقى للحياة معنى، ولا للإنسان أي اعتبار. والذي أريد أن أنبّه إليه وأحذّر منه: هو مابلغ من تقليد الفتيات لأزياء الغرب، حتى ظهرن شبه عاريات، فأقول: يامن تصون عفافها اذكري أن لك رباً أمرك في قرآنه الكريم، وأن لك يوماً ستعرضين فيه عليه، واذكري حين تكونين أماً، فما حال بناتك إذا رأينك بهذا اللباس؟ أما يهون عليهن لو خرجن كما ولدتيهن؟! إذا كان في ذلك اليوم هذه (الموضة) وكن لايراقبن الله تعالى في أنفسهن؟ فعادة، الذي يأتي فيما بعد، يكون حظه من التمسك أقل. فانظري لخطورة هذا الأمر، وإلى مايؤدي إليه قبل أن تفعلي بنفسك مايكون له كبير الإثم عند الله تعالى، وشديد البلاء على مجتمعك. وقارني كيف لو كشف الرجل عن مثل ماتكشفين، أما قيل له عيب؟ فإذا كان الغرب لايرى مثل ذلك، فليس هو على حق.

وإنه لتوجد خطط، يراد بها استبدال التحلي بالأخلاق، والتخلي عنها،وقد سبق قدر كبير منها إلى الناس، بأسلوب ظاهره علمي، باسم نظريات النفس، أو الاجتماع، أو الفن... وما إلى ذلك، حتى لايكون مناص من الأخذ بها. وركزوا على إزالة الحياء ـ لأنه صمام الأمان ـ لتدهور أخلاق الإنسان. فأضحت النفوس وقد أزيلت منها الحواجز والموانع التي تدرأ عن نفسها غوائل الفضيلة، والخلق الحسن، فانفتح الطريق ممهداً أمام (الموضة)، بكل زيفها، وكذلك الأفكار الإنحلالية، حتى سرت، وانتشرت،

كما تسري النار في الهشيم، وضاعت أصوات الناصحين أدراج الرياح، وظل الوالدان لاقدرة لهما لمنع أولادهما من هذا البلاء العام، الذي أحكم نسجه فيما يسمونه (موضات).

وكأن العلم والتقدم في المظهر فقط. وبهذا - إن دام - يتم لهم مايريدون، حتى نبقى بلا عقل ولاعلم ولادين. ولايغير الله تعالى مابنا، حتى نغير مابأنفسنا.

في التربية

ربما يكون من الأولى أن ينظر إلى البحث والدراسة في موضوع الأم والأسرة لتربية الأولاد على أنه إذا كان بحثاً علمياً بحتاً ـ وهو بطبيعة الحال نظري ـ فسوف لا يعطي الجانب الملموس أو المنظور من النماذج أو الشواهد الدالة على صدق الدعوى في ذلك، وضرورة حاجة الإنسانية إليها، لأن ذلك لا يتم إلّا بتضافر القدوة المترسمة للكتاب والسنّة الصحيحة، وإيثار ما عند الله على ما سواه، حتى تظهر السكينة في النفس، لتحمل تربية الأولاد على النحو الذي يرضى عنه الله تعالى. ولا بد قبل ذلك وأثناءه من تربية الإ نسان المسلم لنفسه قبل تربيته لغيره، حتى لا ينقل تقصيره وخطأه مكبراً ومضخمًا، وخصوصاً حين يرى أن ذلك التقصير أو الخطأ هو الصواب. وأعظم شيء في هذا تأثيراً في نفس الطفل، سوء تصرفه معه، أو عرض الحقائق له مشوهة أو منقوصة، في أمر يخشى أن يجيب فيه: لا أعرف، أو تأمل حتى آتيك بالجواب الصحيح. ثم هناك أمور أخرى على جانب كبير من الأهمية في هذا السبيل: التغاضي عن الكذب منهم أو من غيرهم، كذلك عن الظلم وإن صغر، والرياء وإن بطن، وتعظيم غير الله تعالى.

فحين يخرج واحد يكون نموذجاً لما ينبغي أن يكون عليه

المسلم الناشيء بصدق، فإنه يعطي صورة للمجتمع أنفع من ألف كتاب يؤلف في الموضوع. وإن هذا لا يعني أن نصرف النظر عن البحث، ولكن سوف يبقى لتقرير الحقائق لا أكثر، والاستفادة منها للمراجع وعليه فيستوجب أن يعي تلك الجوانب المتشعبة والمتشابكة والمتعددة النواحي، بالنظرة الشاملة، والنظر الدقيق، حتى لا يقتصر على مثل خاص واقع في ذهنه، بل يدور مع الحق حيث دار، وإن خالف رغبته وميله، ويكون الهدف ماينبغي أن يربى به الطفل المسلم على ضوء الكتاب والسنّة والنماذج الإسلامية المتفقة معهما في المواقف التي تنمي عند الطفل الذكاء وحسن التصرف في الأقوال والأفعال، وأن يكون التعبير ما أمكن مؤدياً للمعنى والغرض الحقيقي المراد دون زيادة أو نقصان، وأن لا يكون للانفعال الداخلي النفسي التأثير الزائد على ما يقتضيه البحث، أو يستدعيه الحكم فيه، تفادياً عن الثغرات في البحوث التي يرتكز عليها الطاعنون، وقبل ذلك كله أن يطرح أي تحامل في نفسه وأن يكون صافي النفس مرتاحها حين الكتابة. مستعيناً بالله، مخلصاً له وحده.

تربية الإسلام للمؤمن

الإسلام يربي في الإنسان المؤمن ملكة تخلق فيه القدرة على تحمل المصاعب والمصائب، وتفسيرها بما لا يحدث له أي انفصام نفسي، واختلال في توازنه العقلي، وتجعله، وكأنه امتد به العمر كي يستوعب ما مر من تجارب وخبرات في هذه الحياة، ليخرج منها بنتيجة يرى بها الأمور على حقيقتها، لا يفزعه، ولا يحزنه شيء، يسير على هدى وعلم من ربه ـ سبحانه ـ فهو يختلف عمن تقوقع في ماديته، وقصر حياته في حاضره. فعنده للماضي اعتبار، وفي الحاضر عمل، وفي المستقبل أمل، وإن كان لجسمه أجل محدود، غير أن لروحه امتداداً إلى ذلك الماضي، واختباراً في الحاضر، وشوقاً لذلك المستقبل، فهو إن أحسن رضيت، وإن أساء رجت عفو خالقها، فهي بين رضاء ورجاء، فكيف تشقى وهي تحمل في ثناياها الحنين إلى لقاء رب العالمين؟!

تصرّف بعض الآباء مع الأبناء

يلاحظ في حياة بعض النـاس، إهمـال في كثـير من التصرفات، وقد يكون ذلك في أعز ما لديه، وهم أولاده، فلا يعيرهم كبير اهتمام في مرحلة نشأتهم، كي يفهموا الحياة منذ نعومة أظفارهم، ويتفادى متاعبهم، ويجنبهم ضياع الوقت، والجهد، والمال.

وهم إذا تركوا للهو في غالب الأحيان، أو كانوا كأدوات اللعب للأب والأم، ولم يفهموا بالقدر الذي تتحمل عقولهم، من الأخذ بالواجب، والتحلي بالأخلاق، فستكون النتيجة أن يشبوا ويكبروا، وقد انقلبت مفاهيم الأمور والأشياء عندهم. فيؤثرون الفوضى على النظام، والضوضاء على الهدوء، والعجلة على التروي والتبصر.

وإذا خطا في عمله، قد يرى الصواب، في البداية، ولكن لا يفكر فيما يعترض سبيله، وما يصادفه من مفاجآت، فضلاً عن وضع حلول أو معالجات.

أما في حالة الصغر، فبدلاً من أن يكونوا عوناً لوالديهم فيما يقدرون عليه، ولا يشق عليهم، يكونون عبئاً ثقيلاً على أنفسهم وأهليهم.

بعض طلّاب العلم

يرى من طلاب أرقى المعاهد، ممن تخرجوا، ومضت عليهم سنون، وهم أناس عاديون، لم يفخر بهم وطنهم بين العالم بشيء يذكر، وكأن هذا العلم الذي حصلوا عليه عقيم لا ينتج. والسبب ليس منه، وإنما هو فينا، من متعلم أو معلم. فحين يتعلم الطالب، لا يجعل نفسه جندياً في ميدان العلم، إذ يجب عليه أن يمضي في هدفه وغايته كما يمضي الجندي في ساحة القتال، يبذل النفس والنفيس، غير مبال بما يلاقي، إذ في سعيه للعلم يزيح كل ما من شأنه أن يصده عن هدفه. وإذا لم يتمكن، عالج تلك الحالات التي صادفته، ولا يتركها تتراكم عليه، وذلك ليحافظ على هذه البذور العلمية التي يتلقاها، والتي تكون هي الغاية له، وليست الشهادة والوظيفة أو غيرهما.

فالعلم غير محدود، وهو بوضع هذا الحد لهذه العلوم في غايته منها، أو وسيلته بها، يخنقها في مهدها من حيث لا يشعر، كما أنه ينبغي أن يلاحظ أن ما يحيط به من أجواء، قد تقضي على هذا البذر أو الغرس العلمي. أما ما كان منه منغرساً في أعماق النفس، فإنه يصعب اجتثاثه كلياً. كالنبات حين يكون سطحياً فهو سريع الظهور، سريع التلاشي، والذي يغرس في باطن الأرض، بعناية وتعهد، يكون قوياً راسخاً بإذن ربه، أكثر احتمالاً

للأجواء المتقلبة واستعداداً للنمو والاكتمال.

والعلم كالشعلة، إذا انقطع عنها وقودها خبت.
ووقود العلم شوق، ورغبة، وغاية سامية يرجو نيلها بغير حدود يحدها بها.

وأعظم من ذلك كله، أن يقصد من نيل العلوم، أداء الشكر لربه، ونفع العباد مما وهبه الله تعالى من سمع وبصر، وعقل ينبغي أن تستغل فيما خلقت من أجله، وبذلك يكون في طلبه للعلم، في سبيل الله تعالى، الذي يثيبه عليه أعظم ثواب، إذ سيرجح مداده على دم الشهداء إذا ابتغى بذلك وجه الله تعالى.

ولايخفى مالهذه العظائم لدى الطالب من قوة الدافع المحفوف بالتأييد من العلي العليم، وأن ميدانه للعمل، سيتسع ليس لوطنه فحسب، وإنما للإنسانية كافة، فيكون واجباً عليه أن يوسع من دائرة علمه وعمله بقدر استيعابه واستطاعته في هذا المجال، ومانبغ الكثير من العلماء ذوي العبقريات الفذة من المسلمين إلاّ بهذا الطريق.

إلى القراء

﴿الرحمن؛ علم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان﴾

من الملاحظ أن من القراء - في العصر الحاضر - من عنوا عناية كبيرة بالتغني بالقرآن الكريم، وأعني به حسن الصوت والأداء، وإظهار وجوه القراءات أو بعضها.

ولقد عاش الناس مع هذه الطريقة زماناً. فالذين لم يكن لهم نصيب من المعرفة باللغة العربية لتدبر القرآن الكريم، كانوا يؤخذون بجمال جرس حروفه، ووقع آياته.

ولما أصبح الآن أكثر الناس - بحكم كثير من العوامل - أكثر فهمًا للغة العربية في ظاهرها من ذي قبل، ولانحسار العامية شيئاً ما، فقد كان لزاماً أن تنشأ طريقة جديدة للقراء، تخاطب العقول والأفكار، والنفوس والمشاعر، لاللتطريب فقط، بل للعمل والتخلق بأخلاق هذا القرآن المجيد، وكيف لا؟ وهو كلام رب العالمين المعجز، فإنه إذا ما اختيرت بتوفيق الطريقة الصحيحة لأدائه على النحو المذكور، فسوف يستغني المؤمنون به عن غيره. والمهم أن يكون القارىء له خشوعه، والعلم بما يقرأ منه، والتأثر به، والتمشي مع حروفه وكلماته وآياته في رقتها وقوتها، جاعلاً، نفسه يكلم ربه، ويخاطب الناس في آن واحد ليبلغهم كلامه سبحانه

في أحسن صورة، وأكمل وجه بكل مايتمكن من القدرة والموهبة ليحرك القلوب بتلاوته للعمل بالقرآن، والتخلق بخلقه. وربما يتبادر سؤال إلى الأذهان: أما لهؤلاء القراء المشاهير مثل هذا الدور؟..

والجواب: نعم، ولكن في نطاق ضيق دون انتقاص من قدرهم، لأن الناس كان لهم نصيب من حظ السماع، أكثر منه من حظ التدبر والتفكر فيه. حتى إن آثار الخشوع المطلوبة من قراءة القرآن الكريم، ولو في بعض الأحايين قليلة جداً، لامن القارىء ولامن المستمع في الغالب، والله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ الله﴾[1]... ويقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾.[2]

أما يكون أجدى وأنفع بدلاً من تكرار الحرف ممدوداً تارة، ومقصوراً أخرى، أن تكرر مثل هذه الآيات:

﴿يَاأَيُّها الإنْسانُ مَاغَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم﴾.[3]

والآية: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لاتُرْجَعُون﴾.[4]

---

(١) - الآية ٢٣ من سورة الزمر.

(٢) - الآية ٢١ من سورة الحشر.

(٣) - الآية ٦ من سورة الانفطار.

(٤) - الآية ١١٥ من سورة المؤمنون.

وكذلك الآيات التي تأمر بالصدق، والأمانة، والعدل، والإحسان... الخ، وحاشا أن أفرق بين آية وآية... فالقرآن الكريم آياته كلها عظيمة.

وحين يريد الإنسان أن يكتب كتابة جيدة، ولها فائدة، لابد أن يهيء لها الظروف المناسبة، لأن أي تشويش يعتريه من داخله أو من خارجه يؤثر قليلاً أو كثيراً فيما يكتب، والقارىء للقرآن الكريم، ينبغي عليه مراعاة ذلك، واحتسابه عاملاً مُهمّاً من عوامل التأثير، سواء من جانب إجادته للقراءة أو تأثيره في المستمع. ويضاف إلى ذلك ألاّ يسجل إلاّ بعد أن يمضي وقت يرى نفسه فيه، أنها سارت مع القراءة بشكل مُرضٍ. كما يغتنم الكاتب أوقاتاً تكون له أكثر مواتاة، ليلتمس فيها تلك النفحات التي تشحذ من نفسه، وتضاعف من طاقته، وتيسر له عمله.. والله المستعان..

في البحوث الإسلامية

في الفرد والأسرة والمجتمع

إن المواضيع التي تبحث في الفرد والأسرة والمجتمع، يمكن أن تفيد الأمة، وتحفزها لتنمية طاقاتها وملكاتها الذاتية، إذا نظر إليها على أنها بناء يضم عناصرها الثلاثة في إطار واحد، يشد بعضه بعضاً، وإن لكل دوره ودورته ضمن هذه الأمة في دائرتها العامة، كالمجرات والكواكب، والكهارب في مداراتها، بحكم ماأودع الله تعالى فيها من قوانين فخاطبها وقال لها:

﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين﴾.

أما الإنسان فقد منحه الله تعالى شيئاً من الإرادة والاختيار، فهو إن لم يكن مذعناً لربه عن طواعية واختيار لشريعته وقانونه الإلهي، سيضل كما تضل الكواكب إن خرجت من مدارها، وهو نفسه كالذرة أيضاً لو اختل نظامها اختلت، فإن لم يكن له في نفسه من تلك الشريعة الوازع والرادع لإقامة ذلك التوازن،[1] الذي يحفظ طمأنينته فقد هناءه في ذاته، وإن ملأ الدنيا عمراناً، وجاب أجواز الفضاء لأن كل ذلك خارج عن ذاته وروحه، مع ما لمسؤولية الإخلال منه في هذا ما يجعله محاسباً عند ربه، عن

---

(١) - من هذا التوازن صلته بربه في عباداته، وصلته بالناس، وبنفسه وأهله في أخذه وعطائه وشرائه، ورضاه وغضبه، وفي كل مايتعلق بدنياه وآخرته.

هذا التفريط في مصيره، حيث يبقى أقل شأناً من تلك الجمادات التي تسبح في فضائها، ولم تصطدم. وهذه الكهارب التي كمنت في ذراتها ولم تنفصم.

وإن هذه الشريعة الحنيفية السمحة، التي جاء بها الإسلام متفقة مع الفطرة في الكون وطبيعة الإنسان، وأعطيت أعظم النماذج الإنسانية الحية الصادقة لها، ولاتزال تلك القوالب التي صبغت بصبغة الله الحكيم العليم، تمد وترفد كل من أخذ منها بإخلاص وإيمان في أخفى أحاسيسه، إلى أعظم مايطمح إليه إنسان في هذا الكون الذي سخره الله تعالى له، وجعله خليفة في الأرض.

لاشك أن العلم والتربية هما من أساس ماينبغي أن يتلقاه هذا المسلم في جو إسلامي حقيقي، نشأ في الماضي، أو ينشأ في الحاضر، ولكن لذلك أرضية أو قاعدة ليست إلّا للإسلام وحده، وهو الذي امتاز بها، وخرج منها علماء قادة من الطراز الأول. فالقائد منهم تدرس مهارته التي قام بها بعده بقرون، والعالم منهم - مع قصر عمره - يستوعب علوم زمانه، ويمد العصور بعده إلى مايشاء الله تعالى. وإذا ما نظرنا من خلال ذلك، وجدنا أن تلك الأرضية لهم، تقوم على الأمن الداخلي في أنفسهم، لمعرفتهم بها، ومعرفتهم بربهم المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعمل المخلص لله تعالى، لا لغرض من أغراض هذه الدنيا الفانية - وإن كانوا لم يقصروا في عمارتها، ونشر العدل فيها - حتى توثق الأمن الداخلي بالأمن الخارجي الذي هيأته الشريعة الغراء في أنفسهم قبل أن يهيأ في

أرضهم، فكان الصدر الأول منهم قد ﴿... تبوّأوا الدار والإيمان﴾.

وبهذا يفهم تحرك المسلم مع نفسه وخالقه، والمخلوقات ومدى تأثيره المؤيد من الله تعالى بالقول الثابت، والكلمة المتصلة بالعمل، والقدوة الناصعة التي تفعل فعلها أكثر من القول، إذ يكون هو نفسه وسيلة إيضاح بشرية حية، في حسن العمل والمعاملة، والصدق والأمانة، والعدل والاستقامة.

ولئن كانت الكتابة في هذا الموضوع يقصد بها المسلمون، إلّا أنه يحتاج إلى إدخال تصور كافة الناس في دائرة النظر ضمن دعوة الإسلام العالمية، مع الاحتفاظ بالخصائص الإسلامية في البحث والالتزام بها في العرض وتبيان ماللمستظلين بظل الإسلام من النصيب في الحقوق والرعاية، وأن لايصاغ ذلك بأسلوب قصصي، أو إخباري بحت، وإنما بطريقة تجعل القارىء، أو السامع يتحسس موضعه منها، وعظم تقصيره بإزائها، حتى يكون الدافع قوياً في نفسه للاتجاه إليها، والأخذ بها باسم الله تعالى، وعن طريق المثال الكامل في بشرية محمد صلى الله عليه وسلم بالقدوة وحسن الاتباع، وإن كان هذا الأمر عظيمًا، فقد كان من رحمة الله بعباده، أن جعل هذه القدوة الحسنة تضم بين جناحيها الرفيقين، مالا يعجز ضعيف الهمة، ويرهق قويها وشديدها، سواء في العبادة أو الأعمال الأخرى، كما قال تعالى: ﴿لايُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلّا وُسْعَهَا﴾.[1]

---

(١) ـ آخر آية من سورة البقرة.

والبشرية وإن كانت مدعوة إلى الإسلام بحكم عموم الدعوة لها، إلّا أن الإسلام، يقدر ويحسب أن هناك من لم تصلهم الدعوة، وأن في طباع هذه البشرية أناساً، لايريدون أن يذعنوا لهذا الإسلام، بل سيكونون حرباً عليه، وهو يعد النواة الصالحة منها، لتظل باقية فيها ماشاء الله تعالى، وليحيى من حي عن بينة، ومن مات بالكفر مات عن بينة، وليس في ذلك تعارض في خط سيره لدعوة البشرية كافة، أو الظهور عليها حين يشاء الله تعالى ذلك بتوفيق منه، وهداية وقوة يؤتيها من يشاء، فتعمل عملها في تلك الذرات من الأفراد المبعثرة هنا وهناك، فإذا بها أمة متراصة كالبنيان، يشد بعضه بعضاً، تتراحم فيما بينها، وتتزاحم على الأعداء في سبيل الله تعالى لا لغرض، وإنما لإعلاء كلمة الله تعالى.

وهنا لابد للموضوع أن يتجه إلى الدوافع والحوافز التي تنمّي في المسلم القدرة والملكة، ليفهم نفسه وواقعه بوضوح من خلال إسلامه الذي نبهه إلى استعمال ماوهبه الله تعالى من مواهب قابلة للإبداع، وكشف الأسرار في نفسه وما حوله، ليحسن استعمالها، ويوجهها الوجهة الصحيحة التي يكون فيها مستلهمًا خالقه وخالقها في العمل بها، للشكر له على ما أنعم به عليه، ومتصل بها إليه بالعبادة من جهة، ومن جهة أخرى متصل بالناس للنفع لهم، وعندها يتعلم الإنسان المسلم إن كان مده الله تعالى بالسمع والبصر والقلب وغيرها من الأعضاء، كما لايقتصر عليها بالوقوف عند الحلال والحرام فقط، وهو غير الوقوف الذي فرضه

الله تعالى عليها لسلامتها وأمنها، وإنما المقصود مايعينها أن تستغل في كل ماخلقت من أجله، وأن الوقوف بها من غير الزيادة في العمل يعني التراجع، إذ خلقت وهي مزودة لمعرفة الله تعالى، والعبادة، وللنظر في الأبعاد والمجاهيل في هذا الكون والحياة.

وعلى ضوء هذا المعنى تعلم إشارة الخالق سبحانه للنظر في النفس، وفي السموات والأرض، ليكون الإنسان إما شاكراً وإما كفوراً، وإن الله تعالى يزيد من يشكره، ويعذب من يكفره، وأن عند الله تعالى زيادة لاتتوقف عند حد، كذلك في الحسنات ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾[1] ويطالبه أن يستزيد منه في العلم ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وأن الفيض الإلهي، والعلم الرباني، حين يسير المسلم مستمداً منهما العون والرشاد بوعي وإدراك، مع أداء الشكر لله تعالى في ذلك، تنفتح له مغاليق الأمور صغيرها وكبيرها، وأن البذرة أو النواة متأصلة فيه، موجودة في أبيه آدم ـ عليه السلام ـ إذ علمه ربه سبحانه الأسماء كلها.

---

(١) ـ الآية ٢٣ من سورة الشورى.

ظاهرة

لقد كان الإنسان في الماضي يكتفي من المال بحاجات قليلة معدودة، أما الآن فأصبح يجد نفسه أمام العديد من الأشياء التي يتطلب منه عملها، أو ممارستها يومياً. ومعظمها تتصل اتصالاً وثيقاً بالمال، وهو الموجه لها، والمؤثر فيها، حتى وصل الأمر به، أن انصبغت حياته بهذه الألوان المادية البحتة عن طريق مايسمع ومايرى ومايأكل، كذلك في الملبس والمسكن.

فإذا ماأراد المسلم أن ينقي ماله من الشوائب، ويطيب حياته بالكسب الحلال من الرزق، وجب عليه أن لايقف الموقف السلبي تجاه كل ذلك، بل يحاول مااستطاع من تغيير لصالح نفسه ومجتمعه والصالح العام في هذا الخضم المتلاطم من سياسات المال التي تحركها أطماع الإنسان وشهواته، وأن أي تهاون في هذا السبيل سيجعله أخيراً ـ إن لم يكن حاصلاً بالفعل ـ مطوقاً من كل جانب، ومغزواً من الداخل، حيث أن لها دوراً كبيراً في إشاعة الميوعة والانحلال، وبث المبادىء الضالة.

في المال

لاشك أن كل مسلم مخلص يرجو مما يعمل أو يعرض باسم الإسلام أن تكون له الصورة المشرقة في كل ناحية من نواحيه لكي يعبر بصدق عما في الإسلام من كمال، ومن أجل هذا ينبغي ألاّ تأخذ الأخطاء طريقها إلى مثل هذه الأعمال، وخصوصاً ماهو منها بمقام الروح من الجسد، أو الطاقة من الآلة، ألا وهو فتور الإحساس بمراقبة الله تعالى، لأن في ذلك مايجعل أي نظام أو إدارة لهذه الأعمال المتسمة باسم الإسلام باهتة كشبكة الأسلاك الكهربائية الخالية من الحرارة والنور، إذ كيف تكون صلته مع الله تعالى، والظاهر معه، والباطن خلافه، وهل بذلك يؤمل توفيق ويرجى نجاح؟! وهذا إن يذكر، فإنما لأخذ الحيطة للأمر، وحتى لاتكون عورات في العمل الذي يراد له أن يكون باسم الإسلام، وأن يتحمل المسؤولون فيه جريرة آثامه، وآثام المتقدمين به، وبأخذ الحذر يؤمن جانب العثار بمشيئة الله تعالى، ثم إذا ماوقع خطأ دون تهاون ومن بعد اجتهاد، فإن للمجتهد فيه أجر، وقد يتدارك بالنصح والتشاور، أما إذا كانت هناك أمور لم تطرق من قبل إلاّ أن لها أشباهاً ونظائر تقاس عليها، فيؤخذ لها الحكم من القرآن الكريم والسنّة الصحيحة، فإن لم يكن، فبالرأي المتفق عند أهل

الذكر في ذلك حتى لايكون الحال بالنسبة للإسلام كما قال الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولايستأمرون وهم شهود

وأن يكون الشعار عملاً في القول السديد، وصدق المواعيد وإحسان العمل، والله ولي التوفيق.

في الاقتصاد

﴿وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ورسُولُهُ والْمُؤْمِنُون ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون﴾.[1]

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء مانوى».[2]

إن مما ينبغي لفت النظر إليه في الأمور المعنوية التي يراد لها أكبر الأثر وأدوم النفع بمشيئة الله تعالى، وهو ربط العمل بالتقوى مع الإحسان، إذ به تنعقد أعظم رابطة لضمان النجاح في الدارين بإذن الله تعالى، وتتوسع دائرة النظر والعمل خلافاً لما يظن من أن ذلك يعيق النشاط، أو يحد منه.

فبالتقوى يعقد المسلم الاتفاق مع الله تعالى حين يدخل مع الآخرين بهذه النية الحسنة في الشركة، ومتى كان الله تعالى معه، ضمن أعظم الرزق والتيسير بكل معانيه حيث يقول الرزاق سبحانه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لايَحْتَسِبُ﴾،[3] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾.[4]

---

(١) ـ الآية ١٠٥ من سورة التوبة.

(٢) ـ أخرجاه في الصحيحين البخاري ومسلم.

(٣) ـ الآية ٣ من سورة الطلاق.

(٤) ـ الآية ٤ من سورة الطلاق.

وعلى مافي الإسلام من شمولية تنداح دائرتا التخطيط الزماني والمكاني لهذا العمل الاقتصادي من الناحيتين العملية والإنسانية وتقدير المراحل والالتزامات، واختيار العناصر التي تقوم بهذا الأمر، وإن لكل دوره فيه، ووضعه المناسب في خط السعي لكسب الحلال من طيب الرزق بحسن التعامل، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾،[1] والابتعاد بلسان الحال أو المقال من دعوى قارون ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾.[2]

---

(١) ـ الآية ١٢٨ من سورة النمل.

(٢) ـ الآية ٧٨ من سورة القصص.

وجهة نظر في المصرف الإسلامي

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على من بعثه رحمة للعالمين وبعد.

أحب أن أذكر كلمة في المصرف الإسلامي الذي يراد له ـ إن شاء الله تعالى ـ غزو النظام الاقتصادي المبني على الربا. ولئن كان الجهاد في سبيل الله تعالى في ميادين القتال استدعى أهله الأكفاء الذين آثروا ماعند الله على هذه الدنيا الفانية، ففتحوا القلوب بإيمانهم ونـزاهتهم قبـل أن يفتحوا البلدان بشجاعتهم وبذلهم، فإن الواقع الحالي يتطلب من المخلصين المجاهدين في محيط الاقتصاد العالمي أن يضعوا في الاعتبار، أن هذا المجال، إذا قدر له التوفيق، وسار بهدي روح الشريعة الإسلامية، في التوجه بهذا المال نحو أهدافه الخيرة الصحيحة، فسوف لايقل نجاحه ـ إن شاء الله تعالى ـ في اكتساح الساحات الربوية، وصد الاتجاهات المالية المنحرفة، لأنه سيفتح الباب لتخليص الإنسان من سيطرة المال وجعله خادماً له، وهذا الذي أتوقعه ـ وأرجو الله تعالى أن لايكون بعيداً ـ ليس هو حلماً، وإنما واقع بدىء بوضع أولى لبنـاتـه، غير أن استمرار سيره بمشيئة الله تعالى القادر على كل شيء، سيكون بعون الله على هذه النخبة التي نذرت نفسها

للعمل بأهدافه، والالتزام بمراميه مهما كانت النتائج، واشتدت الصعاب، وكانت مع أخذها بالأسباب متوكلة على الحي القيوم، وحده لترفع عن كاهل العالم، بهذا النظام القديم الجديد مايعانيه من هم التخبط في كل مجالات الاقتصاد المبني على الربا، والذي جعل المال رباً يُعبد من دون الله!

ولئن كان لي من رأي أقوله، فهو أن لايقنع المصرف الإسلامي بتحقيق القليل من أهدافه، بل أن يسعى لإتمام مهمته على الوجه الأكمل لها لبلوغ المستوى المنشود في رجال إدارته، واستيعاب تلك الأهداف بدقة وإحسان. فرحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، ووضعها في كل مرحلة حيث هي بحجمها الطبيعي، وإمكاناتها المحدودة، وهو بهذا لايستطيع إلاّ أن يغري مساهميه بنجاحه في كسب المال الحلال دون أن يتجاوز في النظر والعمل فيما استخلفه الله فيه، ودون أن يقصر همه ومساعيه على نيل الدرهم والدينار لكي يرضي الناس قبل أن يرضي الله. ويبدأ المنعطف، ويصل في النهاية لأن يسخر نفسه للمال، ويصبح عبداً له، ويصاب بالشح والبخل اللذين يعسر معهما التضحية لوجه الله، وهو في هذه الحالة لايعطي الحلول لمشكلات المال، بل يسعى إليها عن طريق آخر، - يراه في نظره - أكثر سلامة، وآمن عاقبة. فإذا كان الطريق هو الأخير فكتابتي فيه غير ذات جدوى، وأما إن كان الأول، فلا بد أن يستشعر كل فرد مسلم بواجبه تجاهه، كل حسب ماآتاه الله ويسر له، من رأي، أو نصيحة، أو جهد، أو تطوع، ليصب المسلم كل ذلك في إطار موجه مرن، مبتعد عن «الروتين»

الجامد، والحركة الثقيلة في الأعمال، غير متعجل للنتائج، مختاراً لجانب الورع في الأعمال والأقوال، حتى يسلم من المزالق، وأن لايأخذ بالرخص والأقوال غير المجمع عليها، إلّا بعد أخذ رأي أهل الفكر والإجماع عليها من معظم علماء المسلمين، وأن يكون له سياسته المالية المتميزة في المعاملة والمعالجة والأسلوب. فيحرصُ على سد حاجة المتعاملين معه بإرشادهم لتحقيق اكتفائهم، معتمدين على أنفسهم أولاً، ودارساً كل مايمكنه الوصول إلى أحسن النتائج في ذلك، بروح من الأخوة المؤمنة، والإنسانية الصادقة، والصراحة الواضحة، متنبهاً ومنبهاً لضرورة الابتعاد عن النفاق والمنافقين، معطياً المثال في إشاعة المحبة والاحترام المتبادل والتواضع مع كل المتعاملين دون تمييز، والاحتراس بالحذر عن الوقوع بالشرَك الذي ينصب له، ناظراً في حدود إمكاناته، لكل احتمالات سير العمل، من توقف، أو تباطؤ، أو ازدهار، لكي يواجه كل وضع بالعدة المناسبة، وأن يكون لكل حالة تقدير تقريبي مسبق، وخطة يتفادى معها التأخر في التنفيذ لمواجهة هذه الأمور أو بعضها، وإن كان هذا التقدير والاحتمال ليس بالضرورة المطلوب بالذات، إلّا أنه يقرب المسافة، ويختصر الوقت لمعرفة المتطلبات المستمرة، والاحتياط للمفاجآت، كذلك أن ينظر في احتمال توافق العاملين على اختلاف جنسياتهم لأن الإسلام لايقر هذا الاختلاف، غير أنه قد يكون من تغلب بعض العادات، وبقاء شيء من النفور أثناء الاحتكاك بالعمل ويحصل مثل ذلك إذا شاعت المحسوبية في انتقاء العاملين، فيضع لذلك تقدير لهذه الحالة واجتناب مسبباتها.

وكيلا تكون حزبية في الأعمال والإدارات تسن لوائح لهذا الغرض لمراقبة سير العمل، سواء من ناحيته الفنية أو الأخلاقية والحفاظ على أسرار الزبائن، وأن تكون المعاملة مع الناس تراعي عدم استغلالهم، وتسعى لتحريرهم من القيود المعيشية التي تثقل كاهلهم، وأن تكون هناك دورات تدريبية تعليمية أو إرشادية بوسائل إيضاحية حديثة، مستخدمة الصورة والصوت مع كتيبات أو نشرات لخدمة الإنسان، وإعطائه صورة عن العمل الذاتي للاكتفاء جزئياً أو كلياً؛ ومثال ذلك استعمال الإبرة في شتى صورها المبسطة منها والآلية المنزلية، وتفهيم أرباب البيوت وغيرهم على بعض الحاجات، والأدوات في عملها، أو تركيبها، أو تصليحها مع التوعية الدائمة في النشرات الاقتصادية عن مدى أهمية التزام الفرد المسلم بتعاليم دينه، ليكون المصرف بذلك مدرسة إسلامية، تتجاوز نطاق العمل المصرفي البحت لتنمية اقتصادية واجتماعية على أساس الإسلام.

فلو سعى كل فرد من بين هذه المئات من الملايين، إلى الابتعاد عن الإسراف، في الأكل والشراب والاستهلاك، لوفر مئات الملايين من الأمتار المكعبة من المياه الضائعة، ولاحتفظ بمثلها من المأكولات التي تأخذ طريقها إلى التلف والفساد، مع ماتسببه من أذى وإضعاف للجميع، وماقد ينشأ عنها من أمراض للإنسان نفسه، والمستفيد الأول والأخير في هذا هو الشيطان، في شكل مستغل، أو صورة مراب سواء أكان فرداً أو مؤسسة أو دولة.

وبالعودة إلى الخط المستقيم الذي رسمه رب العالمين للبشر،

والذي ينأى بهم عن القذارة والفوضى، ويأخذ بهم إلى النظافة والنظام والاعتدال في كل شيء، فقد جعل من الإيمان إماطة الأذى عن الطريق، واعتبرها من الصدقات، فكيف يضيع هذا القدر الهائل من الحاجات الضرورية لحياة الناس وكثير من عباد الله يتضورون جوعاً؟! وبعض الدول ترمي بضروريات الناس من الغذاء في أعماق البحار، أو تعمل على إتلافه لتحافظ على أسعارها المرتفعة.

والمسلم له منهجه الرباني في موقفه من الحياة والأحياء.

فحبذا لو تنشأ مكتبة متنقلة، معدة بوسائل التوعية وما يلزم المسلم معرفته في هذا الأمر.

الشياطين والجنّ

قد يتبادر إلى ذهن الإنسان غير المؤمن سؤال عن الشياطين والجن، ماهي هذه المخلوقات التي لانراها، ولانشعر بها أو نحسها؟

وإنه لو فكر جيداً لعلم أن الرؤى التي يراها النائم، فيشاهد شخوصها تتحرك، وتتضارب، وقد تقوم معارك في مخيلته لايلمس منها شيئاً، وهو لايعلم كيف يكون ذلك، فكيف يريد أن يفسر مافي هذا الكون الشاسع الواسع على وفق هواه، ويحجره في تصوره الضيق؟!.

أما يرى أموراً كثيرة مما سخره الله له في الكون، من الأثير والكهرباء والأشعة وغيرها التي تنقل كلامه، ورسائله، وصوره، ولايستطيع معرفة ماهيتها مع استعماله لها؟!

ماأرضه ومحيطه الذي هو فيه إلّا ذرة سابحة في هذا الفضاء العظيم الهائل، ومالشياطين والجن إلّا من تلك الأمور التي يقف علم الإنسان عندها، كما يكون موقف الطفل الصغير من حساب الرياضيات والمعادلات المعقدة.

ولم يكلف الله سبحانه الإنسان بما يشق عليه معرفته، ولحكمة يعلمها جعل الشياطين والجن ترانا من حيث لانراها.

الموت والحياة

﴿تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قدير. الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.(١)

قد يخطر للإنسان الغافل خاطر وهو يقرأ القرآن الكريم، ويتلو آياته التي تذكره بأنه سوف يبعث، فيشهد عليه سمعه وبصره، وجلده.

وهنا ليس للإنسان العاقل أن يكابر ويقول: كيف يبعث بعد أن يصبح تراباً أو حديداً، أو أي شيء آخر مما يكبر في نفسه ثم يعود كما كان؟ فهذا غير عزيز على الخالق سبحانه، فهو الذي بدأ الخلق، وهو يعيده.

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً، أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ، فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا؟ قُلِ الَّذي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ؟ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.(٢)

---

(١) - الآية ١ من سورة الملك.

(٢) - الآيات ٤٩ - ٥٢ من سورة الإسراء.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.(١)

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ. بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ. قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾.(٢)

فإن الإنسان متى علم على أية كيفية يكون عليها يوم يبعث، ويعرف السر، وهو ضعيف، تنتفي الحكمة، ويبطل الامتحان من حياة الإنسان ومماته، بل سيكون بمقدوره ـ لو هيأه الله لذلك ـ أن يميت نفسه، ويحييها، ولادَّعى أنه إله نفسه، مع أن لله تعالى إرادة، تختلف عن إرادة البشر في الخلق والابتداع، فإنه سبحانه إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون.

والإنسان يفزعه ذكر الموت، ولكن هل من الموت مفر؟ فسوف تنقضي أيامه سراعاً، ولايحس إلاّ وقد ألمت به الشيخوخة ـ إن طال العمر ـ وقد يمضي قبل ذلك متقلباً بين سراء وضراء في وقت كالحلم اللذيذ أو المزعج، وهنا يقف الإنسان المؤمن يتأمل، فينظر ويفكر: إنه لم يخلق عبثاً. ويسمع النداء من خالقه وخالق الأرض والسماء: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاتُرْجَعُونَ﴾.(٣)

---

(١) ـ الآيات ٧٨ ـ ٧٩ من سورة يس.

(٢) ـ الآيات ١ ـ ٤ من سورة ق.

(٣) ـ الآية ١١٥ من سورة المؤمنون.

في الترفق

كثيراً مايتفاقم الخلاف، وتنشأ المشكلات، وتنقطع الصلات، من سوء المعاملة، والخلف في الوعد، أو الغضب لأتفه الأسباب، قد تكون دوافعها إما مرضية، أو عجزاً، أو أسباباً لايستطيع صاحبها البوح بها، أو مسارفة طبع.

لذ أمرنا الخالق سبحانه، وهو اللطيف بعباده أن نتجنب تلك الأمور التي تؤدي إلى عدم الرفق أو الإساءة. بل أمرنا بالعفو والصفح والإحسان مما فيه هناءة الإنسان وعافيته.

كم من سعادة أدخلت على قلب بالعفو عن مثل هذه المواقف!

وكم من قضايا حلت، وبلايا ارتفعت بتعطيف ورفق! فإذا ماعلم مالتلك من أثر بالغ، ومالعلاجها بهذه الروح من وقع طيب، كان واجباً تسامح الإنسان مع أخيه، ليطيب نفسه، ويمسح عنها ماأصابها من كدر قد يؤدي إلى أسوأ العواقب في النفس والمجتمع.

إن الاعتراف بالتقصير، وطلب العفو فيه، هو من أحسن

الأمور المؤدية إلى التسامي، وعدم الكبر، والبعد عن الإصرار على الخطايا، في معاملة الإنسان العاقل، مع الناس، وخالقه سبحانه وتعالى.

الإسلام والمسلمون

الحمد لله الذي أوضح بالإسلام طريق الهدى، وجنب متبعيه سبل الضلال والكفر، وبعث رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين رحمة للعالمين ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.(١) وأنزل القرآن الكريم مبشراً للذاكرين، يهدي به الله إلى طريقه المستقيم، فقال تعالى: ﴿لاإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاانْفِصَامَ لَهَا﴾.(٢)

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.(٣)

والشكر على كمال دينه، وتمام نعمته بالإسلام، كما قال جل شانه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾.(٤) ويقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.(٥)

---

(١) ـ الآية ٢٣ من سورة التوبة.

(٢) ـ الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٣) ـ الآية ٣ من سورة الإنسان.

(٤) ـ الآية ٣ من سورة المائدة.

(٥) ـ الآية ١٥٣ من سورة المائدة.

وإن لهذا الدين أركاناً يعلمها كل مسلم مهتم بدينه، ولكن قد يقتصر عليها بعضهم، ويقصر فيما سواها، مستهيناً بها ﴿وتحسبونه هيناً وهو عندَ اللهِ عظيم﴾،(1) ولكن فيها هضماً لحقوق الآخرين وظلمًا لهم، وردُّ هذه الحقوق والمظالم يكلفه مالايطيق، وخصوصاً يوم يقف بين يدي الله ليقتصّ منه لهم. فلو علم أن الأركان لاتكون إلاّ مع تمام البناء، وإلاّ بقي عرضة للتيارات والعواصف، وهل يرضى الواحد منّا أن يسكن بيتاً بهذا الشكل حتى يرضى لدينه أن يكون ناقصاً، ولنفسه مفلساً يوم الحساب بما تكلم في هذا، أو انتقص من هذا؟

إن من تمام إيماننا بهذا الدين أن نروّض أنفسنا بالالتزام بمكارم الأخلاق، وأن نحب للناس مانحبه لأنفسنا من العدل والإحسان وفي كل أمر آخر يطلبه منا الإسلام، وأن تربى النفوس كما رباها الأولون بالقرآن الكريم ببعض آياته تدرجاً، آيتين آيتين، أو أربعاً أربعاً، ولايتجاوزونها إلاّ بعد أن يتفهموا مقاصدها ويعملوا بها والفقيه عندهم من هوَ أكثر وقوفاً عند حدود هذا الكتاب الكريم، وعملاً به. ولا يصلح هذا الأمر إلاّ بما صلح به أوله.

لقد جاء الإسلام في وقت طغت فيه دول على أممها، وسامتهم الويل والدمار، في التعذيب والتسخير، وأخذ أموال الناس بالباطل واسترقاق البشر وتضليلهم، فكان طبيعياً أن يلاقي

---

(1) ـ الآية ١٥ من سورة النور.

التهديد والاعتداء منهم، وعدم السماح له بنشر مبادئه الخيرة في أرجاء الأرض، وكف ذوي الظلم عن ممارسة ظلمهم، فأدى ذلك إلى الجهاد والاستشهاد دفاعاً عن النفس وعن هذه المبادىء، ومن أجل تبليغها، وإعلاء كلمة الله تعالى، والناس بعد ذلك أحرار في اعتقاد مايشاؤون لأنه ليس في الدين إكراه.

حصل كل ذلك في صدر الدعوة الإسلامية، فانهزمت أعظم دولتين في العالم يومئذ، أمام جنود الله الذين كانت مثلهم وسيرتهم أوقع في التأثير بتلك الأمم من سيوفهم.

ومع فتحهم للبلدان، فتحوا أعين الناس وقلوبهم على النور، فلم يمض وقت طويل حتى أسلم معظم أهل هذه البلدان عن طواعية واختيار. وأخذ عدد كبير منهم يقوم بأجلّ الأعمال لخدمة هذا الدين العظيم وللإنسانية وماسطره التاريخ في صفحاته لأكبر دليل على أن أولئك الفاتحين للعقول والقلوب، كان هدفهم نشر الخير، ورفع الظلم، وتعريف البشر بخالقهم سبحانه.

وإنه ليتبادر إلى الذهن سؤال: ماالذي يطلبه الإسلام من المسلمين اليوم؟.

لاشك أن الدور الذي ينيطه بهم، أن يكونوا مسلمين فعلاً لااسمًا، وحينئذ سوف لن يعيش بينهم مستعمر، ولا غاصب أو من يحل محله بشكل من الأشكال.

والإسلام يبين لهم الطريق الواضحة التي ليس لهم طريق

غيرها تنجيهم وتنجي الإنسانية معهم، وحين ينفر منهم طائفة ليتفقهوا في الدين، من ذوي العقل والذكاء والإخلاص للدعوة، آخذين بالاعتبار ماجاء في الكتاب الكريم: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾.[1] متأنين غير متعجلين النتائج. سالكين أحسن الطرق للوصول إلى قلوب الناس والتأثير عليها، مرشدين إلى عظمة الإسلام وصلاحيته لكل الأزمان، موضحين صفاءه وخلوه من التعقيد.

إنه يوم يكون لذلك رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع أو لهو عن تذكير الناس بربهم الذي ابتعدوا عنه، يوم ذلك، يشهد العالم نموذجاً ممتازاً من البشر، يدلون الناس إلى الخير والسلام والسعادة لابأقوالهم، بل بأفعالهم، ولايأخذون على ذلك أجراً إلّا من خالقهم، عندها سوف لاتكون الفتوحات للإسلام ـ إن شاء الله تعالى ـ بالصواريخ وقنابل الدمار، إنما بالمثل والمبادىء، والأخلاق، وحل المشكلات الاجتماعية وتنقية هذه الحضارة من أوضارها وشوائبها، ودفعها نحو المزيد من الخير، ولترى الشعوب النور يسطع من جديد، فيدخل في دين الله الحنيف أفواج المؤمنين برب واحد، (وأمة واحدة)، والإسلام يقرر في صراحة أن علاقة الإنسان في عبادته لربه، لاتكون بأية واسطة، وهذا يرفع من قدر الإنسان المؤمن ومعنوياته، فمتى علم أنه إذا أسرف على نفسه في جهالته، وأحب أن يتوب إلى خالقه تعالى، فما عليه إلّا أن يتوجه

---

(١) ـ الآية ١٢٥ من سورة النحل.

بقلبه إلى ربه، طالباً منه وحده أن يتجاوز له عما أسلف، فيجد مايطمئنه بالإجابة والقبول في كلام رب العالمين: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[1] ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[2]

وعقيدة الإسلام لاتكلف فيها، فهي لاتوجب على المؤمن بها أعمالاً تنافي العقل، بل يجدها ملائمة له، ولا تطلب منه مايشق عليه، بل تهبه الطمأنينة في الحياة، والفهم الصحيح ليبصر الأشياء على حقيقتها، وتربيه ليصدر عن رأي سديد، وعمل نافع، وتفكير سليم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.[3]

وإن الغاية هي إرضاء الخالق سبحانه، وإن إرضاء الناس في إرضاء خالقهم.

والإنسان في هذه الحياة كالسفينة في المحيط، إن لم توجه (البوصلة) ضلت الطريق، وتاهت، فلا بد له من التوجه إلى الله تعالى في جميع أعماله، وإلاّ ضل وتاه.

---

(١) ـ الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٢) ـ الآية ٣ من سورة الزمر.

(١) ـ الآيتان ٧٠ و ٧١ من سورة الأحزاب.

والناس - وإن اختلفوا - يجمعهم دين واحد، يدعوهم إلى التعرف به والتعارف بينهم، والصلات الطيبة. وهو سبحانه يوجه إليهم الخطاب في قرآنه الكريم: ﴿يَاأَيُّهَا النَاسُ إنا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى، وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارفُوا، إنَّ أكْرمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقَاكُمْ، إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.(١)

وهو تعالى لايريد أن يفتخر أحد على أحد، بجنس أو عنصر، فكلهم سواسية، لايمتاز أحد إلّا بالتقوى والعمل الصالح، ويبين لهم أن كل طيب مباح، وكل خبيث محرم: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ وَالأغْلاَلَ التي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.(٢)

كما وضع عنهم جميع القيود التي تمنع الإنسان من عمل الخير لنفسه وللإنسانية جمعاء، وشرع الحدود لحفظ الحقوق ومنع الجرائم فقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى، الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، والجروح قصاص، فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم. ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تعقلون﴾.(٣)

وأمرهم بالعدالة الحقة، حتى مع الأعداء: ﴿ولا يجرمنكم

---

(١) - الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٢) - الآية ١٥٣ من سورة الأعراف.

(٣) - الآيتان ١٧٨ و ١٧٩ من سورة البقرة.

شنآن قوم على ألاّ تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى. . .﴾.[1]

وينهى عن كل مالايليق بالإنسان العاقل من الغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور، والنفاق والمكر ومايأتي الإنسان من أعمال قبيحة في الظاهر والباطن فقال سبحانه: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾.[2]

﴿واجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.[3]

﴿والذين لايَشْهَدُون الزُّور﴾.[4]

﴿إنَّ الذين يَرْمُون الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا في الدُّنْيَا والآخِرةِ﴾.[5]

﴿إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ والإحْسَانِ﴾.[6]

﴿وينْهَى عَنِ الفَحْشَاء والْمُنْكَرِ والبَغْيِ﴾.[7]

وينهى عن الخيانة في الأمانة:

﴿يَاأيُّهَا الذين آمَنُوا، لاتَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، وَتَخُونُوا أمَانَاتِكُمْ[8] . . .﴾.

---

(١) ـ الآية ٨ من سورة المائدة.

(٢) ـ الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٣) ـ الآية ٣٠ من سورة الحج.

(٤) ـ الآية ٧٢ من سورة الفرقان.

(٥) ـ الآية ٢٣ من سورة النور.

(٦)و(٧) ـ الآية ٩٠ من سورة النحل.

(٨) ـ الآية ٢٧ من سورة الأنفال.

﴿فَلْيُؤَدِّ الذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾.[1]

وينهى عن التبذير والترف والبذخ:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَيَاطِينِ﴾.[2]

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾.[3]

وينهى عن التعالي على الناس:

﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للناس﴾.[4]

﴿ولاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً، إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾.[5]

وينهى عن الشحّ والبخل:

﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾.[6]

وينهى عن الاعتداء:

﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[7]

---

(١) ـ الاية ٢٨١ من سورة البقرة.

(٢) ـ الآية ١٧ من سورة الإسراء.

(٣) ـ الآية ١٦ من سورة الإسراء.

(٤) ـ الآية ١٨ من سورة لقمان.

(٥) ـ الآية ٣٧ من سورة الإسراء.

(٦) ـ الآية ٢٩ من سورة الإسراء.

(٧) ـ الآية ٨٧ من سورة المائدة.

وينهى عن بخس الناس أشياءهم:

﴿ وَلاتَبْخَسُوا النَاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ .[1]

وينهى عن كتمان الحق وخلطه بالباطل:

﴿وَلاتَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .[2]

ويأمر بالصبر:

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلّا بِاللهِ﴾ .[3]

﴿إنمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغِيْرِ حِسَابٍ﴾ .[4]

ويأمر بكظم الغيظ والعفو:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمحْسِنِينَ﴾[5].

ويأمر يالتقوى والإحسان:

﴿إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ .[6]

ويأمر بالعدل في الحكم:

---

(١) - الآية ٨٥ من سورة الأعراف.

(٢) - الآية ٤٢ من سورة البقرة.

(٣) - الآية ١٢٧ من سورة النحل.

(٤) - الآية ١٠ من سورة الزمر.

(٥) - الآية ١٣٤ من سورة آل عمران.

(٦) - الآية ١٢٨ من سورة النحل.

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ﴾.[1]

ويأمر بالتزود بكل قوة، والاستعداد لكل أمر:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ..﴾.[2]

ويأمر بالحيطة:

﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ...﴾.[3]

﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾.[4]

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ...﴾.[5]

ويأمر بالشورى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمرِ...﴾.[6]

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾.[7]

كما وضع منهاجاً لحفظ البدن ووقايته:

﴿وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاتُسْرِفُوا...﴾.[8]

---

(١) ـ الآية ٥٨ من سورة النساء.

(٢) ـ الآية ٦٠ من سورة الأنفال.

(٣) ـ الآية ٧١ من سورة النساء.

(٤) و (٥) ـ الآية ١٠٢ من سورة النساء.

(٦) ـ الآية ١٩٥ من سورة آل عمران.

(٧) ـ الآية ٣٨ من سورة الشورى.

(٨) ـ الآية ٣١ من سورة الأعراف.

وكذلك وضع منهاجاً لحفظ النفس:

﴿لِكَيْلا تَأسَوْا عَلى مَا فَاتَكُمْ، وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتاكُمْ﴾.(١)

ويبين بطريق المثال، كيف يكون الخطاب والنداء:

﴿وَقُولُوا للنَّاسِ حُسْناً﴾.(٢)

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خفياً﴾.(٣)

﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.(٤)

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى، وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾.(٥)

ويرشد إلى النظافة وحسن المظهر، والأخذ بالزينة المباحة والطيبات من الرزق.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.(٦)

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.(٧)

---

(١) - الآية ٢٣ من سورة الحديد.

(٢) - الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٣) - الآية ٣ من سورة مريم.

(٤) - الآية ٣٤ من سورة لقمان.

(٥) - الآية ١٥٢ من سورة الأنعام.

(٦) - الآية ٣٢ من سورة الأعراف.

(٧) - الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.[1]
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.[2]

وينهى عن الأخذ بغير علم أو دليل:
﴿وَلاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾.[3]

ويرسم خطة الإنفاق:
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَواماً﴾.[4]

ويأمر بالإنفاق في سبيل الله وعدم كنز المال:
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ وَلايُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[5]

ويأمر بالعطف على اليتيم والسائل والمحروم والمسكين والأسير:
﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾.[6]

---

(١) ـ الآية ٣١ من سورة الأعراف.
(٢) ـ الآيتان ٤ ـ ٥ من سورة المدثر.
(٣) ـ الآية ٣٦ من سورة الإسراء.
(٤) ـ الآية ٦٧ من سورة الفرقان.
(٥) ـ الآية ٣٤ من سورة التوبة.
(٦) ـ الآيتان ٩ و ١٠ من سورة الضحى.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.(١)

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وأسيراً، إنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً ولاشُكُوراً﴾.(٢)

ويأمر بالشكر لله، مقروناً بالشكر للوالدين:

﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.(٣)

ويأمر بالرفق بالوالدين:

﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾.(٤)

﴿وقَضى ربُّك ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وبالْوالِدين إحْساناً، إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدك الْكِبَرَ أحَدُهُمَا أوْ كلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَما رَبَّياني صَغِيراً﴾.(٥)

ويأمر بصلة القربى والرحم:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وَتُقَطِّعُوا أرْحَامَكُمْ﴾.(٦)

﴿قُلْ لاأسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.(٧)

---

(١) ـ الآيتان ٢٤ و ٢٥ من سورة المعارج.

(٢) ـ الآيتان ٨ و ٩ من سورة الإنسان.

(٣) و (٤) ـ الآية ١٤ من سورة لقمان.

(٥) ـ الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة الإسراء.

(٦) ـ الآية ٢٢ من سورة محمد (صلى الله عليه وسلم).

(٧) ـ الآية ٤ من سورة الشورى.

وأمر بصلة الجار والصاحب:

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾.[1]

ويأمر باللين مع المؤمنين:

﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[2]

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[3]

ويأمر بالسعي للإصلاح بين الناس وترك الفضول من القول:

﴿وأَصْلِحُوا ذات بَيْنِكُمْ وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[4]

﴿لاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، ومَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيمًا﴾.[5]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[6]

ويأمر بسلامة القلب:

---

(١) ـ الآية ٣٤ من سورة النساء.

(٢) ـ الآية ٨٨ من سورة الحجر.

(٣) ـ الآية ٥٤ من سورة المائدة.

(٤) ـ الآية ١ من سورة الأنفال.

(٥) ـ الآية ١١٤ من سورة النساء.

(٦) ـ الآية ١٠ من سورة الحجرات.

﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.(١)

ويأمر بالحركة والعمل والسعي سواء في طلب الرزق الحلال، أو العبادة:

﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾.(٢)

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾.(٣)

﴿فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب﴾.(٤)

ويأمر أن لا يكلف الإنسان نفسه مالا تطيق:

﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾.(٥)

فمن أحب الإسلام حقاً، عمل به، وأخلص له، واتقى يوم الحساب وملاقاة الديان سبحانه:

﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون﴾.(٦)

---

(١) ـ الآية ١٠ من سورة الحشر.

(٢) ـ الآية ١٥ من سورة الملك.

(٣) ـ الآية ١٠ من سورة الجمعة.

(٤) ـ الآيتان ٧ و ٨ من سورة الانشراح.

(٥) ـ آخر آية من سورة البقرة.

(٦) ـ الآية ٢٨٢ من سورة البقرة. وهي آخر الآيات نزولاً في بعض الأقوال.

الفهرس

الموضوع ..... الصفحة

المقدمة ٥
هامشية الغرب ٩
كتاب عظيم ١٦
الإنسان وغفلته عن ربه ١٨
إنسان هذا العصر ٢٠
في المظاهر ٢٤
الأخطاء والأهواء ٢٧
اختلال التقدير والاستقامة ٣١
الدعوة والداعية ٣٣
بعض الدعاة ٣٦
في الإعلام ٣٨
تذكرة ٤١
في التربية ٤٥
تربية الإسلام للمؤمن ٤٧
تصرف بعض الآباء مع الأبناء ٤٨

بعض طلاب العلم ٤٩
إلى القراء ٥١
في البحوث الإسلامية ٥٤
ظاهرة ٥٩
في المال ٦٠
في الاقتصاد ٦٢
وجهة نظر في المصرف الإسلامي ٦٤
الشياطين والجن ٦٩
الموت والحياة ٧٠
في الترفق ٧٢
الإسلام والمسلمون ٧٤